مسافر في الليل

علي حزين

هذه الرواية وقعت أحداثها ما بين عام 2024 وعام 3000 م

كتــاب: مسافر في الليل
تـأليف: علـــــي حزين
تنسيق: هيـــــلانا حنا
غـلاف: محمد طه مخلوف
الطبعة: الأولى 2023م
رقم الإيـــداع: 2023/3582
الترقيم الدولي: 978-977-6586-55-9

ابن معيط للطباعة

ت: 012221235833 – 01062765736

البريد الإلكتروني: ahmedragbmait@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة نشر دون موافقة قانونية مكتوبة من الكاتب يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

دار فنون للنشر والتوزيع

الجزء الأول

ارتدى آخر قطار متجهاً إلى القاهرة، حشر نفسه وسط الكتل البشرية المعتركة الأجسام المتدافعة بقوة وبعد معاناة ومشقة لم يجد مكاناً ليجلس فيه سوى خلف الباب كالعادة وحتى يتحاشى الكتل البشرية المتدافعة من شدة الزحام ..

وقف خلف الباب في صمت، وترقب، بضع دقائق معدودة ريثما يلتقط فيها أنفاسه، ويعدل فيها من وضعه، ويهدأ، وتعود إليه نفسه، والركاب في حالة تدافع مستمر بين نازل وراكب، والقطار يصفر فتتعالى الأصوات، وكان الجو حاراً جداً، والعرق يُلجم الناس إلجاماً، وهو واقف يجفف عرقة الخارط بمنديله الورقي المعطَّر.....

يتحرك القطار فجأة، تدخل نسمة هواء طرية تلف المكان وتلطف الجو، والوجوه، ينظر من نافذة القطار إلى ميدان المحطة الذي يعج بالمارة، والعربات المنتظرة خلف المزلقان والترعة التي بجوار شريط القطار، والكُبري العلوى الذي أُنشأ حديثاً لفك الزحام وقد خلا إلا من بعض المارة، والبيوت والمدارس التي راح يتجاوزها القطار في بطء.....

نظر إلي الخضار المترامي الأطراف، والنخيل، والشجر النائم في سكون وسط الحقول، وإلى النوافذ المضاءة في جوف الليل، تمتم في نفسه بكلماته المشهورة ...

"حدوته وراء كل باب " ...

شعر بالتعب يفت في عظامه ويمسك قدميه فيجلس القرفصاء سرح بعقله بعيداً تصور المكان الذي هو ذاهب إليه، وتوقع ماذا سيحدث له عندما يصل، وتخيل الكُل في انتظاره، وتخيل نفسه وقد احتشد الناس من حوله يريدون أن يتعرفوا عليه ويتصوروا معه ويحظوا بتوقيعه الثمين على مؤلفاته..

فقد أصبح رجلاً مهماً للغالية، ومعترف به في المحافل الدولية، والمنتديات، وعلي كل الأصعدة والمستويات وذلك بعد أن كان كماً مهملاً، ونسياً منسياً، أو هكذا سولت له نفسه، ...

تحسس حقيبته السمراء التي ترقد فيها كل أوراقه المهمة، وبعض الكُتب التي يحرص دائماً بأن يصحبها معه في السفر، حقيبته السمراء تلك التي اشتراها خصيصاً لذلك الغرض بجواره....

عيناه تقع تواً على كرسي تركه صاحبه بعدما حزم حقائبه وأمتعته، وأنزل أغراضه من على الرف وهو يتهيَّأ للنزول في المحطة القادمة وقد أشار إليه بيده بأن يأتي ليجلس مكانه، .. هب مسرعاً وفي غضون ثوانٍ معدودة كان قد غرس نفسه في الكرسي الخشبي، جلس وهو يشكر للرجل صنيعه الذي ابتسم له وتركه وانصرف ليقف بجوار الباب ..

ابتسم في نفسه وهو سعيد لأنه وجد أخيراً كرسي يجلس عليه مُمَنِيَاً نفسه بسفرية سعيدة، وبرحلة ليلية ممتعة عبر القطار السريع، جلس في مكانه الجديد، وقد وضع ساقاً على ساق،

وحقيبته السمراء قد وضعها فوق رأسه، والقطار يشق طريقه وينتصف الليل.....

كثيراً ما يحدث ذلك معه وهو في سفره إلى القاهرة ..

يقف خلف الباب منتظراً نزول أحد الركاب في إحدى المحطات فيجلس مكانه، وربما اختلف الأمر معه وانعكست الآية تماماً وانقلبت الصورة فيقوم هو من مكانه ويُجلس غيره ليستريح، فالسفر قطعة من العذاب كما يقال، لكن فيه سبع فوائد كثيرة..

نظر في الوجوه التي تملأ العربة، تأملها جيداً لثوانٍ معدودة فرأى الصمت فيها يصارع الحزن ويتحالف مع البؤس والشقاء....

لاحظ امرأة شابة تحمل صبياً علي صدرها مريضاً، أشفق علي الصغير وأمه فقام من مقامه وأجلسها مكانه، وهو يبتسم في وجه الصبي، ويفارقهما إلى مكانه الأول خلف الباب....

لاحظ بعض الركاب من رأوا المشهد يتهامسون وهم يبتسمون في خباثة، ولؤم، لم يبالي بهم، فقد فعل ما يملي عليه ضميره، ثم نظر إلى حقيبته وابتسم....

"كان يجب عليه أن يترفع عن كل تلك الأمور الصغيرة التافهة فمتعة اللقاء وجمال المكان الذي حرص أن يكون متواجداً فيه والذي طالما حرص على زيارته أنسته كل شيء، فقد كان يحلم أن يذهب إليه من زمنٍ طويل جعله مما جعله يتحمل كل هذا العناء، والمشقة" .....

انزوى خلف الباب مرة أخرى، ومن جديد راح ينظر من النافذة الزجاجية المكسورة إلى بعيد حيث الليل والفضاء الممتد أمامه وسرح بخياله من جديد، وراح يفكر .. ويفكر ...

تذكر، أول مرة ركب فيها القطار، وذلك عندما كان صغيراً، لما انصدم في حبه الأول، وتزوجت بنت الجيران التي كان يحبها غيره..... ما أشبه الليلة بالبارحة ....

"سافر إلى القاهرة في تلك الليلة التي تزوجت فيها حبيبته برجل آخر، وكانت ليلة عصيبة وصيفية مثل هذه الليلة، وكان صغيراً يومئذٍ لم يتعدى عمره السابعة عشر ربيعاً، أراد أن يترك لها البلد بما فيه، وأقسم ألا يعود إلى بلده مرة أخرى إلا إذا حقق ذاته، ونجح في الحياة، وأقسم على أنه سيجعلها تندم على أنها باعته واشترت غيره".

صوت الكمسري الأجش يُخرجه من تداعياته، ويُعيده للقطار.

- تذاكر يا حضرات ..؟

مد له التذكرة، علَّم عليها بعدما نظر فيها، ثم ردها إليه ثانية وضعها في جيبه وهو ينظر في ساعة يده كانت تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل، لاحظ ضوء العربة ملائماً للقراءة فأخرج كتاباً ليقرأه، ويقتل به الوقت والملل، أخرجه، أمسكه، قلَّبه بين يديه، كان كتاب " مسافر ليل " للمبدع الرائع" صلاح عبد الصبور" انغمس في القراءة، بشغف، ونهم، فهو يحب القراءة لدرجة الهوس والجنون، ولدرجة أنها أفقدته الكثير من نظره مما اضطره لصنع نظارة للقراءة بعد الكشف على عينيه، ليقرأ بها...

نهض، قام على قدميه، عدَّل من هندامه الأنيقة التي حرص على أن تكون منسَّقة الألوان وبأن يكن مرتديها في هذا المكان وتلك المناسبة المهمة التي هو ذاهب إليها...

ابتسم في نفسه، لمَّا تذكر الأمس البعيد، وتلك الليلة الحزينة التي مرت به في القديم، وقارن بينها وبين تلك الليلة الجميلة.....

"اليوم هو متزوج ومعه أولاد، تزوج من امرأةٍ جميلة يحبها جداً، وأنجب منها الأولاد، وأصبح ناجحاً في حياته العملية، والعلمية، وأصبح رجلاً مهماً ومشهوراً وأصبح شخصيةً عامة يُدعى للمؤتمرات والمحافل العلمية الهامة، ويُدعى من قبل المسؤولين ليحضر المؤتمر السنوي الذي سوف ينعقد غداً، وسوف يتكلم فيه ويُلقي كلمته ويسمعه الجميع، ويصفق له الجميع، وقد سجل التاريخ اسمه بحروف من نور، أما هي فقد ابتلعتها الحياة، واختفت، وذابت في دوامات الحياة، وأصبحت نسياً منسيا، مرة واحدة يتيمة فقط تقابلت فيها الوجوه وامتدت فيها الأيادي بينهما بالسلام، لكن لم يشعر حيالها بنفس المشاعر التي كان يشعر بها ولا بنفس الأحاسيس التي كانت تملؤه في الماضي نحوها " ...

أخرجهُ من تداعياته مرة أخرى صوت الكُمسري وهو يهزه من كتفه، ينتبه، لهذا الرجل البدين ذو البالطو الزيتي:

- تذاكر يا حضرت ....؟!
- .....

يمد له يده بالتذكرة، والقطار ينساب بين المدن البعيدة .. والليل المترامي الأطراف، يحمل في جوفه فجراً جميلاً، وهو ينظر إلى ساعة يده من حين لأخر، ويحسب كم مضى من الوقت، والنوم يسرق بعض عيون الركاب، وباعة القطار الجائلون في حركة دائبة رتيبة لا تنقطع، وهو يرسل عينيه نحو حقيبته التي ترقد على إحدى الرفوف بسلام.....

لاحظ أم الصبي وقد سرق النوم عينيها الكليلة، والصبي لم ينم بعد، أخذ ينظر إليه، ويبتسم من حين لأخر، فيبتسم الصبي له ابتسامة عريضة صادقة.....

تذكر أبنائه الذين يحبهم كثيراً، ويسعى جاهداً في إسعادهم، وتعليمهم، وتوفير المعيشة الكريمة لهم...

يقترب القطار من إحدى المحطات، يُخرج رأسه من القطار يقرأ اللافتة التي على الرصيف، وينظر في وجوه الناس التي تتهيأ للركوب في القطار، ينزل أُناس ويركب أخرون، يتأمل المشهد الذي يشبه الحياة كلها...

"القطار، والحياة، والمحطات، والناس على الرصيف بين نازل وراكب، زائد صفير القطارات، والمباني الشاهقة، والألوان المبهجة، وزينتها، والأنوار، وبهرجتها، كل ذلك يشبه الكرنفال عظيم، ويذكره بالدنيا، وقطار الحياة، فالدنيا كالقطار، والناس بين راكب فيها ونازل منها، وكل من تأتي ساعته ومحطته ينزل من القطار، ليركب غيره في قطار الحياة وتسير عجلة الحياة دواليك من جديد،" .....

الناس تنزل من القطار، بصعوبة بالغة، من شدة الزحام، والأجسام المعتركة المتدافعة وهم يحملون حقائبهم وأمتعتهم على أكتافهم، وينادوا على ذويهم.....

دقائق معدودة، وأقلع القطار من جديد، وانطلق، بعدما أعلن له ناظر المحطة بالإقلاع لينساب كالشبح وسط الحقول، يطوي المسافات البعيدة، وهو يعلن عن نفسه، ويناوش المدن البعيدة ويتخطى المدن النائمة ويعلن صولجانه وسطوته ويجوب بهدير عجلاته وسط الحقول المترامية الأطراف، تمتم في نفسه وهو يبتسم:

- لم يزل في الوقت متسع وبقية .

سرح بخياله بعيداً، تذكر حبيبته، وتذكر أبوه، وأمه، وتذكر أيضاً ما يجب عليه فعله هناك حال وصوله إلى المؤتمر .

تسلل النوم فجأة ليسرق العيون، أما هو فقد شعر بالملل، أخرج آخر سيجارة كانت في جيبه ليشعلها، وراح يتجول ببصره في المكان في محاولة بائسة يائسة لاستكشاف أمراً ما وبدأ الملل يشتد ويتسرب إلى نفسه، ففكر في قطع حبل الملل الذي راح يطوقه، ففكر أن يخرج كتاب " مسافر ليل " مرة أخرى من حقيبته السمراء لقتل الوقت، والانتظار، لكن تراجع عن فكرته تلك وخصوصاً النور في العربة قد خفت ولا يشجع على ذلك إطلاقاً، فاكتفى بالاسترخاء على الكرسي وقد علق عينيه في السقف، وراح يسرح بعيداً، بعيداً بخياله، وفكر في هذا اللقاء الهام المرتقب، والمنتظر.

الجزء الثاني

فجأة، انتبه، تلفت حوله، وجد شيئاً غريباً، فرك عينيه بيديه فوجد نفسه في مكان لم يسبق له أن رآه من قبل، ولم يسبق له من قبل أن رأى هذه الكائنات الغريبة العجيبة، وهذا المكان المخيف، ولم يسبق له أن رأى تلك الوجوه الغريبة المحيطة به ولم يخطر في باله يوماً من الأيام بأن يكون في هذا المكان الغريب.....

لاحظ تجاهل تام من الجميع، الكل مشغول بنفسه، والكل يتحرك حركة دائبة لا تنقطع، المكان غريب وموحش، والوجوه التي فيه أغرب، كائنات غريبة وعجيبة تلتف حوله، وجوه يراها لأول مرة في حياته.. فرك عينيه مرة أخرى، وهو يحاول أن يفهم ما الذي يحدث، وما الذي يدور حوله .. وهو يحاول أن يتذكر من الذي جاء به إلى هنا في هذا المكان العجيب العجيب حيث الناس فيه متشابهون ومتقاربون جداً، وتقريباً في أطوال متقاربة وكأنهم عالم أقزام .. يقترب من أحدهم، يسأله:

- لو سمحت إحنا فين .. ؟!
- .....

يتركه وينصرف عنه دون أن ينظر إليه، أو ينبذ إليه ببنت شفة، يلتفت لأخر، رمقه بعينيه الكبيرتين، يقترب منه وهو يرتجف، يسأله :

- ممكن لو سمحت أسأل سؤال ..؟

- .....

يشيح بوجهه عنه، ومثل الأول يتركه وينصرف، ينظر إلى وجهه الذي تبدوا ملامحه غير مقروءة، وباهتة، كانت ملامح يملأها الرعب والفزع، يدور حول نفسه في المكان، يروح ويجيء على غير هدى محاولاً أن يكتشف معالم هذا العالم الغريب العجيب الذي وجد نفسه فيه فجأة، يتمتم في نفسه :

- المكان غريب جداً وعجيب ..

دوائر الضوء تملأ المكان، والأنوار تحيط بكل شيء، والناس تحبطه من كل جانب، حتى هو لم يسلم من تلك البقعة الضوئية التي راحت تحيط به كلما غدى أو راح.

لاحظ كل البيوت المتواجدة والمحيطة بالمكان من زجاج أو هكذا خُيل إليه، ولاحظ أن كل شيء يتحرك، ورأى على مد البصر أنهاراً تسبح في الفضاء، وفوق صفحة الماء مركبات غريبة تسير وكأن الماء قد تجمد فجأة وصار ألواحاً من الزجاج الأبيض الشفاف، والناس الذين من حوله يرتدون سترات غريبة تشبه بدلة رواد الفضاء، ويحملون جهازاً صغيراً في أيديهم بألوانٍ مختلفةٍ، ويرتدون ما يشبه الساعة الكبيرة أو البوصلة في أيديهم، ولا وجود للعربات نهائياً، ولا لدخان، وعادم العربات، ولا وجود للزحام، ولاحظ أيضاً أشياءً تطير في الهواء هنا وهناك بطريقة تشبه العشوائية، ولا وجود للضجيج إطلاقاً، والجو نقي تماماً، ومعتدل وغير باردٍ، والوقت يبدو وكأنه في الظهيرة ولاحظ أيضاً بأن كل واحدٍ منهم يرتدي كمامة غريبة الشكل.

أحد الواقفين ضغط على شيء بيده في وسط ما يشبه العمود بجواره فطار في الفضاء البعيد ثم اختفي.

حُب الفضول دفعه أكثر وأخذ من نفسه، فراح يراقب كل شيء يدور من حوله باهتمام شديد ..

الناس تبدو وكأنها منهمكة منشغلة بهمومها، والأشياء من حوله تُصدر إشاراتٍ ضوئيةٍ غريبة الأطوار بألوانٍ مختلفة، حتى السترات التي يرتديها الناس تُصدر إشارات ضوئية هي الأخرى...

فَرَك عينيه بيديه وهو غير مصدق لما يرى، أقنع نفسه بأنه ربما يكون في حلم، أو ربما هذا الذي يراه هو في عقله الباطن وفقط .. لكن ثمت شيئاً جعله يفكر في الأمر ملياً ...

هو يتذكر جيداً بأنه كان جالساً في القطار، وكان في طريقه إلى المؤتمر السنوي الكبير للآداب والفنون والذي تقيمه وزارة الثقافة، وتذكر بأنه كان في طريقه إلى القاهرة حيث المؤتمر، وبدأ يحدث نفسه بصوت منخفض وخاصة بعدما أقنع نفسه أنه في حلم، وبأنه سيستيقظ منه لا محالة، لكن الحلم قد استهواه المكان مختلف، والناس أيضاً مختلفين، وهو واقف في ذهول وراح يسأل نفسه في نفسه:

. أين أنا ..؟!.. وما هذا المكان الغريب ..؟!.. وما هذا الذي أراه..؟!. وكيف أتيتُ إلى هنا ..؟!.. وكيف انتقل المكان من قطار متجه إلى القاهرة إلى مكان فوق الماء أو الفضاء ..؟!.. وكيف تحول الزمان وتبدل المكان بقدرة قادر..؟! .. البيوت من حولي كلها صارت من زجاج، والناس لماذا يرتدون هذه الكمامات الغريبة، ويلبثون هذه الثياب الغريبة العجيبة التي تشبه بدلة

رواد الفضاء، أو تشبه بذلات النجاة التي يرتدونها ركاب السفن العملاقة، عندما تكون السفن في خطر، وتقترب من الغرق، والطائرات المنكوبة ..!..

وما كل هذه الأنوار التي أراها من حولي والتي تصدر منها اشياء وكأنها رسائل ترسل بعض الإشارات اللاسلكية والإشارات الكهرومغناطيسية..؟!..وكيف يطير الناس في الهواء ويمشون على الماء ونحن لسنا في زمن المعجزات ..؟!.. هذا أمر غريب جداً وعجيب حقاً. سبحان الله العظيم. ماذا حدث، ليس هناك أصوات، وما هذه الأشياء التي يحملونها في أيديهم، ربما تكون أجهزة ذكية تتعامل مع الفيروسات التي تطير في الجو، والفيروسات الغير مرئية.....

اقترب من أحدهم مرة أخرى، وقبل أن ينصرف عنه هذا الرجل الغريب، وقبل أن يمد يده ليضغط على شيء ببدلته ليطير في الهواء مثل غيره، لم يتركه ينصرف، تشبث به، وقف في وجهه، وأمسك به وصرخ في وجهه:

- من أنتم، وما هذا المكان الغريب الذي أنا فيه، ولماذا أنا هنا، إني جائع أريد طعاماً لآكل، وأريد الماء لأشرب، هل تسمعني، لماذا لا ترد علي، لماذا لا تجيبني ..؟!!..

صمت هنيهة، ونظر حوله، ثم قال بعدما أرخى يداه التي كانت متشبثة بالكائن الذي أمامه وأكمل بصوت منخفض وكأنه يحدث نفسه:

. ولا أرى أي مطعم أمامي أو حتى محل كشري، أين آكل إذاً..؟!،أريد أن آكل وأشرب، حتى سجائري ليست معي، نفذت كلها في القطار، ماذا أصنع، يا الله ..؟!! "

فجأة الرجل الغريب أشار بيده فخرجت قائمة مكتوب فيها عبارة معلقة في الهواء رآها أمامه مكتوبة بلغات شتى:

- من أنت، ومن أين أتيت، وماذا تريد، هل أنت من سكان الأرض أم من سكان الفضاء .؟!

فرد عليه بصوت ضعيف منهك متعب لا يكاد يُبين.

- أنا الذي أسألك، من أنت، وما هذا الذي أره، وأنا لا أدري من أين جئتُ، غير أني أنا إنسان، وأقطن في الكرة الأرضية كل الذي أذكره الأن أني كنت راكباً في القطار وفجأة وجدت نفسي هاهنا.

فأشار إليه مرة أُخرى على نفس القائمة، فما كان منه إلا أن قال له وبنفس الصوت الضعيف المنهك المتعب.

- أنا إنسان مثلك، وأنا جائع وعطشان،

قالها له وأشار إلى فمه وبطنه في حركة منه لتُفهمه مقصده وبأنه يعاني من الجوع والعطش ثم سقط من طوله على الأرض من شدة التعب والإعياء، فما كان من هذا الإنسان الذي يشبه الكائن الفضائي إلا وقد رق لحاله، فقام على الفور بإخراج جهازٍ صغير من سترته، وضعه على وجهه، ثم على بطنه لمدة ثوانٍ معدودة، ثم أخرج بعض الأشياء الصغيرة العجيبة من سترته أيضاً وراح يضع له شيئاً ما في فمه، نصف دقيقة أو أقل كان قد أعاد نشاطه من جديد، ثم أخرج ما يشبه مسحوقاً في كبسولة

صغيرة ووضعها في فمه، وناوله قطرات ماء كانت في زجاجة معه، تناول الكبسولة وقام ببلعها ثوانٍ معدودة شعر بعدها وكأنه كائن آخر، وقد ذهب عنه الجوع والعطش فقام وهو يشعر بأنه قد امتلك قوة خارقة، وقبل أن يشكر الرجل، أو يسأله ماذا صنع معه، وجده قد تركه وانطلق في الفضاء، وتركه في حيص بيص، مما زاد في حيرته، وتعجبه واندهاشه، فتح عينيه ليجد نفسه في نفس المكان، فقال في نفسه :

- معقولة اللي بيحصل ده، أين أنا، وما هذا الذي أره، مستحيل أكون ركبت قطار الزمن هههه، معقوله، هذا كلام.!!

بقع ضوءٍ متناثر هنا وهناك، وشبه العربات تسير من فوق رؤوس الناس، والأصوات شبه منعدمة من حوله، وكل شيء من حوله يسبح في الفضاء، ولا يسقط على الأرض وكأن الفضاء البعيد انعدمتْ فيه الجاذبية، وهو ينظر حوله وقد تملكه الاندهاش، وراح يكمل حديث النفس ....

. خيال علمي طبعاً، أنا قرأت في هذا الموضوع كثيراً جداً، وشاهدت أفلاماً كثيرة أيضاً تكلمتْ عن هذا الأمر، لكن مش ممكن، مستحيل يكون ده حصل معي.

يَصُرُّ وجهه بيديه، ويهزُّ رأسه هزاتٍ متتالية، وقد أغمض عينيه ثم فتحها من جديد ليستكشف المكان أكثر، وأكثر .. ومازال حديث النفس يدور بداخله.

. ولما لا يكون ما أراه خيال، أو حقيقة ..؟!! .. فربما يكون الأمر حقيقة فكل شيء يحدث في هذه الحياة من تقدم علمي كان

منشأه وبدايته فكرة وخيال في رأس أحدهم، بدءً من فكرة الطيران والتي قام بها " عباس ابن فرناس " مروراً بعالم الفضاء والتكنولوجية الحديثة والله أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك، وإلى أي شيء سينتهي هذا العالم، لكن وما أدراني بأني في مكان ما على الكرة الأرض غير المكان الذي كنت فيه، وفي زمانٍ غير الزمان، ولما لا أكون قد انتقلتُ إلى كوكبٍ آخر مثلاً .. وإلى عالمٍ آخر، ربما، ولما لا، وكل شيء من حولي مختلف ويطير في الهواء، لكن لا، لا ..

فأنا لم أطر مثلهم، وهل فكرت في الطيران .. ؟!..

فلأحاول مثلهم "..

قال ذلك لنفسه وهو يحاول أن يهدئ من روعه، وقد ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة، وأخذ يقفز في الهواء لأعلى لعله يطير في الفضاء مثلهم ولكنه لم يستطع، يتمشى خطوات في الفضاء، وبعد محاولات منه فاشلة أقنع نفسه بأنه يحلم، فكل شيء من حوله مختلف .. البيوت .. الشوارع .. الناس، حتى المحلات لا شيء فيها إلا الأجهزة الكهربائية الغريبة العجيبة.

يمشي في الشوارع على غير هدى وهو لا يدري من أين أتى ولا إلى أين سيذهب.

"كل ما يتذكره هو أنه كان جالساً في قطار نصف الليل المتجه إلى القاهرة وفي طريقه الي إحدى المؤتمرات الهامة التي سيكرَّمُ فيها، وفجأة وجد نفسه هنا، في هذا المكانٍ، مكان أخر وزمان آخر، وفي عالمٍ أخر، وكل شيءٍ من حوله مختلف"...

الوقت في منتصف الظهيرة، والجو جميل وبديع، وليس به ما يعكر الصفو، وهو يفكر مع نفسه بصوت مسموع، ويتذكر، ويتساءل مع نفسه بصوت مسموع .

. مستحيل أنا بَحْلَمْ أكيد، لكنه حلم جميل، هل يمكنني أن أستيقظ من هذا الحلم، أكيد حلم، وما المانع أن يطول هذا الحلم الجميل، ربما كتبت فيه قصة جميلة، أو رواية، ولما لا، فأنا منذ فترة ليست بالقليلة وأنا لم أكتب شيئاً ولا حتى قصة واحدة، كما أني لا أذكر متى بالضبط وبالتحديد كتبت آخر قصة، أو حتى متى نُشرتْ آخر قصة لي" .....

جلس في مكانٍ ما، يشبه الحديقة تنبعث منها روائح جميلة، ومشهد الزهور المختلفة الأشكال والألوان مع الأشجار والخَضَار مبهجة للعيون جداً، والهواء النقي يشرح الصدر جلس في زاوية ما، وقد أعجبته الفكرة، أخرج ورقة وقلم، وراح يكتب من أول السطر.

"المكان مدينة غريبة، عجيبة، مشيدة في الفضاء، أو مقامة فوق الماء، بيوتها مصنوعة من زجاج أو ما يشبه الزجاج، وسكانها متشابهون في كل شيء تقريباً، ويطيرون في الهواء كالعصافير أو كالجراد، والزمان لا أذكر، تخيل معي عزيزي القارئ وأنت البطل في هذه القصة، حيث وفجأة، وبقدرة قادر، تجد نفسك في إحدى ضواحي هذه المدينة الزجاجية العجيبة في كل شيء، ذات الأنوار المبهجة، والناس والعربات تطير كالفراش في السماء، ربما كان هذا في الألفية الثالثة بعد الميلاد، أو هكذا أظن، أو أتوقع، هل جربت أن تعيش هذا الإحساس الغريب

العجيب، أكيد كلنا أو معظمنا على الأقل يحب أن يجرب هذا الإحساس وهذا الشعور الغريب الجميل في نفس الوقت، هل جربت بأن تعيش بخيالك أو تمنيت أن تنتقل أو تسافر عبر آلة الزمن إلى هنا، حيث كل شيء مختلف، عن هذا العالم الذي تعيش فيه، تخيل نفسك مثلي، فجأة وبدون مقدمات وجدت نفسكَ في هذا المكان ماذا كنت فاعلاً ..؟!"..

كثيراً ما راودتني تلك الفكرة المجنونة المتطرفة، وكثيراً ما فكرت في هذا الأمر العجيب .. وكثيراً أيضاً ما تمنيت أن أعيش في جزيرة في وسط البحار، الحياة فيها مختلفة تماماً عن الحياة التي أعيشها وسط الناس، مختلفة كل الاختلاف..

ياه شعور لذيذ، ورائع، وإحساس جميل جداً، وخيال خصب، وإحساس بالمتعة، حينما تشعر وتعيش لوحدك هذا الإحساس، كثيراً ما عولجت هذه الفكرة في القصص والروايات، والأفلام السينمائية....

لكن أن يحدث هذا معي إنه لأمر غريب جداً، وعجيب حقاً، أن أكون في قلب الحدث، وفي باطن القصة فهذا شيء غير معقول إطلاقاً.....

أنا أحب هذه النوعية من القصص، والروايات، والأفلام خصوصاً عندما تكون تلك الفكرة معالجة سينمائياً جيداً ...

"في مكان ما من العالم معزول عن البشر . كل البشر يوجد هناك على الجانب الأخر، عالم أخر مختلف، عالمٌ له قوانينه المختلفة، وله ثقافاته المختلفة، وله عاداته، وتقاليده المختلفة أيضاً، حتى الزي مختلف تماماً".....

ستقولون تلك فكرة متطرفة ومجنونة، نعم هي كذلك، وستقولون عني بأني مجنون، نعم قد أكون كذلك لكن شيئاً واحداً سأقوله لكم، أنا رجل أحب الخيال، والجنون في الأفكار.....

تخيل نفسك للحظة وأنت تعيش في واحة في قلب الصحراء، وأنت تعيش في جزيرة في وسط البحار، وأنت في هذا الجو الساحر وخصوصاً إذا كانت معك فتاة جميلة ذات ملامح أوروبية، أسطورية وجمال خرافي .. وأنتما تبحثان عن مخرج .. وحينما تيأسا تحاولان أن تتأقلما على الوضع الذي أنتما فيه، وترضيا بالواقع ... تخيل نفسك وأنت تعيش تلك الأحداث وكأنك في داخل القصة..

"لا فرق كبير بين هذه القصة وبين هذا الخيال المجنون المريض، ربما ما نعيشه اليوم، وما يعيشه العالم بأسره في تلك الأيام شيء يفوق الخيال، فقد أصبحت الدول شبه معزولة عن بعضها، فالعالم كله منعزل ومتقوقع حول نفسه، فلا طيران، ولا سياحة، ولا تبادل تجاري فالعالم في جائحة " كرونا " أصبح عبارة عن مجموعة جزر متباعدة ومنعزلة، بل كل بيت، أصبح عبارة عن مكان صغير يعيش فيه مجموعة من الناس، يَحْذر بعضهم من بعض، كما وقد ظهر مصطلح جديد يسمى بالعالقين، وهو عبارة عن مجموعة من الناس من كل الدول، لا تستطيع العودة إلى مواطنهم بسبب الوباء المنتشر في هذا العالم اليوم... قد يبدو الأمر غريباً بعض الشيء عند بعض الناس، أنا اتحدث عن هذا الأمر، وقد يبدو عند كثير من الناس أن الأمر فيه

إسهاب وليس له داعي، لكن الشيء بالشيء يذكر، فقد يتصور البعض بأن كتابة قصة قصيرة أو رواية شيءً سهلاً أو بسيطاً وهيِّن وهم مخطئون طبعاً، تماماً، لأن كتابة القصة، أو الرواية أمر صعب بل من أصعب الأشياء لأن الكاتب يخلق عالماً موازياً على الورق، فالكتابة صعبة جداً جداً، بل أصعب مما تتخيلوا، وأنا دئماً أشبه الكتابة بوجع الولادة، وقد تزيد عليه، لانها تخرج عصارة الذهن، وخبرات السنين الطويلة ونتاج تجارب عديدة، كما أن الكاتب ليس آلة أو جهاز تحكمه قوانين فيزيائية متى أراد أن يكتب كتب، أو إذا أراد المؤلف كتابة قصة ضغط على زر خرج منه الكلام تترا، مثلما يخرج من جهاز تسجيل مثلاً أو الماكينة فهو ليس بآلة قطعاً ..

فالكتابة يا سادة حالة وجدانية تتلبث الكاتب وتأتيه بلا ميعاد، ولها صورتان لا ثالث لهما إما أن يستدعيها وإما هي التي تستدعيه ليدخل في محرابها ويستظل بظلالها ويتشح بقدسيتها ويتصل بعالمها القدسي، التيار اللاوعي، فينفصل عن هذا العالم المحيط به أو ينفصل عنه هذا العالم المحسوس لينسلك وينخرط في سلك الخيال ويلج إلى هذا العالم الخاص، ليدخل في عالمه الغريب العجيب، ويعيش فيه ولو لبعض الوقت .."

الجزء الثالث

يتلفَّت حوله فإذا بصوره تملأ الهواء، والأجواء، تظهر وتختفي فجأة أمامه كومضات إلكترونية في كل مكان، فاندهش من هذا الأمر، وراح يسأل نفسه وهو في حالة ذهول:

- هذه صوري، نعم إنها صوري التي كنت قد نشرتها قبل ذلك عبر المواقع الإلكترونية في النت وتلك أعمالي الأدبية التي كنت قد كتبتها ووثَّقتها لي بعض المجلات والمواقع الأدبية كيف تظهر لي هكذا في الهواء فجأة ثم تختفي .. كيف هذا.. ؟؟!!

وبينما هو يكلم نفسه، وهو لم يزل في حالة استغراب، والذهول يملأ عقله، والاندهاش يتملكه لما يحدث حوله، ولما يراه، إذ بجمعٍ غفيرٍ من الناس يُقبل عليه من أصحاب البذلات الفضائية الطائرة، تجمعوا حوله، وقد أخذوا يعاملونه معاملة خاصة، معاملة لطيفة للغاية، وكأنه رجل مهم جداً، أو كأحد المسؤولين الكبار في الدولة، وهو لم يتعود على هذا أبدأ، فهو أقصى ما يُمكن أن يتخيله أن يعامل بهذا الاحترام من زوجته ومع ذلك كان يشعر ويحس دائماً بأن احترامها له زائف أو ربما كان من باب الخوف منه، وأيضاً بائع الفول المدمس، والطعمية، حينما يُقبل عليه وهو ذاهب إلى عمله في الصباح الباكر فيدفع له بالعشرة جنيهات حتى يصنع له فطاره الشهي الذي يأخذه معه للعمل....

يتقدم منه شاباً وسيماً يبدو عليه أنه ذو شأن ورفعة وسط القوم يسأله وهو يبتسم في وجهه.

- كيف حالك يا سيدي ..؟!..

نظر إليه وأطال النظر وهو فاغر فاه، ولا يتكلم، لكن الشاب لم يترك الابتسامة لتسقط من على وجهه البشوش ذو الملامح الهادئة بل حسَّنها وجمَّلها بضحكة حفيفة مع إشارةٍ بيده ترحيباً بالضيف، ثم واصل حديثه معه:

أهلا بك سيادة المؤلف العظيم، نحن لن نشغلك كثيراً، نحن نعرفك جيداً ونعرف بأن وقتك ثمين للغاية.

- لكني أنا لا أعرفك .. من أنتم ..؟!
- نحن يا عزيزي بشرٌ مثلك، لا تقلق ألا تري أنَّا مثلك.
- لكن أنتم مختفلون كثيراً عني، والمكان غريب جداً.
- تقصد ما تراه وما تشاهده..؟!!
- نعم ما أراه شيء عجيبٌ وغريبٌ حقاً ..!
- لا عليك، سأوضح لك الأمر، ستعرف كل شيء في حينه، ولكن ليس الأن، كل شيءٍ في وقته وفي أوانه.

ينظر للجموع المحتشدة حوله، ثم يكمل بنبرة هادئة :

- لا، لو سمحت أريد أن أعرف الأن، أين أنا ..؟!!, وما هذا المكان الغريب الذي أنا فيه..؟!!

يضحك الشاب الوسيم، فيضحك كل من حوله، مما زاد في توتره وغضبه وانفجاره بالسؤال قبل انهياره بالبكاء.

- من أنتم، وأين أنا، هل أنا نائم، أم مستيقظ ..؟!.. أم ترى انتقلت إلى عالمٍ أخر، بربكم أخبروني ..؟!!

يجيبه الشاب في بهدوء، والابتسامة لم تفارق وجهه :

- يا عزيزي هَوِّن عليك، أنا أردت أن أترك لك متعة البحث والملاحظة وأن تستكشف أنت بنفسك هذا العالم الجديد الذي انتقلت إليه، ولكن بما أنك تريد أن تعرف اسمح لي أن أخبرك وأعلمك بالأمر.
- وما هو هذا الأمر ..؟!.
- أنت يا عزيزي الآن في الألفية الثالثة .
- .....
- لا تندهش كثيراً، نعم أنت في الألفية الثالثة، لقد انتقلت عبر آلة الزمن .
- انتقلت عبر الزمن كده مرة واحدة، وكيف حدث هذا..!!

قالها له في تعجب، بعدما حرك يده في الهواء.

- هذا أمر بسيط جداً، بل ويحدث كثيراً، فلماذا أنت مستغرب هكذا ..؟!!...

يصمت للحظة، ينظر حوله، يأخذ نفساً عميقاً، ثم يقول :

- نعم أنا قرأتُ كثيراً عن هذا الأمر بل وشاهدت فيديوهات كثيرة يوتيوب ولكن ما هي إلا نظريات ورؤى لم تصل إلى حد الواقع واليقين، هذا مستحيل وغير معقول ..؟!!

يقترب منه محدثه، يسأله، والإبتسامة على وجهه:

- وما هو الغير معقول يا سيدي المؤلف، كل شيءٍ كانت بدايته فكرة ومنشئه خيال، ثم انقلب إلى واقع، أليس كذلك..؟!..
- بلى، لكن أن تصل إلى اختراق الزمان والمكان، هذا شيء مستحيل طبعاً ...
- يرجع ويخبرني بالمستحيل والغير معقول، أنت إنسان مثقف وواعي وعارف، ولا يحق لك أن تتكلم بهذا الكلام.
- لالا أنا غير مصدق، إطلاقاً.
- لك ما تشاء يا عزيزي، لك ما تشاء هذا حقك.

يضحك كل من حوله، يشعر بالعطش يطلب شربة ماء، يُخرج هذا الشاب الوسيم الذي كان جالساً بجواره زجاجة صغيرة شفافة بها قطرات ماء تكاد تُعد ثم يدفعها إليه، فيأخذها منه متعجباً ومن دون أن يسأله شرب منها فذهب عنه ما هو فيه من عطش ...

يتفرق الجمع الذي كان محيطاً به، ويبقى هذا الشاب الوسيم الذي هو جالس بجواره ولم يتركه، وهو يحاول أن يقنعه بأنه انتقل إلى الألفية الثالثة، وهو غير مصدقٍ لما يسمع، أو مستوعب ما يرى، برهة، يطرق فيها، يهدأ بعض الشيء، ينظر إلى من بجواره، ليقول له :

- أنا كنت جالساً في القطار، فما الذي جاء بي إلى هنا ..؟!!
- نحن نعرف ذلك، وبأمارة أنك كنت ذاهب إلى المؤتمر الأدبي الذي دُعيت إليه في العاصمة.

- فعلاً وكيف عرفتم ذلك ..؟!
- نحن نعرف عنك كل شيء عن طريق نقل البيانات من خلال الضوء، والداتا التي معنا ..

وأخذ يقص عليه أموراً كثيرةً جداً، ويخبره عن أشياء أكثر مرت به في حياته ما زال يذكرها، وأشياء أخرى طواها الزمن والنسيان، وهو يستمع إليه بإصغاء، ثم تركه يتحدث، وسرح بخياله بعيداً عنه، وراح يفكر، ويتذكر أول أمس، حين ذهب إلى الطبيب، قبل أن يركب القطار، دكتور جراحة، طلب منه بعض التحاليل والإشاعات قبل ما يخبره بشيءٍ ...

أحضرهم له في العيادة، وطلب منه الصراحة والوضوح فهو من القوة والشجاعة بمكان يجعله يطلب منه ذلك، فقال له الطبيب:

- لابد من إجراء عمليةٍ جراحيةٍ عاجلة، ليس لها حل غير ذلك ..

اسودت الحياة في عينيه، ودارت به الدنيا، ومادت به الأرض من تحت قدميه، وغاب عن الوعي، أو كاد، فالعملية الجراحية خطيرة جداً، ومكلفة، فضلا على أنه لا يملك ثمنها، وهو يكره مشرط الأطباء اصلا، ولا يثق في أي طبيب إلا ما ندر لما له من تجارب مضنية معهم ومع البنج اللعين والألم، والمضادات الحيوية وما يحدث له أثناء التخدير .....

انتبه إلى عقله الواعي، ليكتشف أنه لم يزل في هذا نفس المكان الغريب، وبحث عن نفسه، فوجد نفسه في مكان لا يدري

من أين جاء إليه، ولا أين كان، ولا أين هو الأن بالضبط، وأخذ تيار اللاوعي يثور بداخله ويمور في عقله الباطن، ويمتد ويطول، صراع من نوع ما في رأسه راح يشتبك ويحتدم مع نفسه في عقله الباطن، حاول أن ينهي كل هذا لكن لم يستطع، وعبثاً حاول أن يجد تفسيراً منطقياً لما يحدث ولكن هيهات، وشعر كأنه بين اليقظة والنوم، أو كأنه مخدر، وراح يتساءل مع نفسه :

- ترى هل هو حلم، أم هذا من أثر البنج اللعين ..؟!! ..

هو لا يذكر إن كان قد أجرى العملية أم لا، نعم العملية ضرورية وعاجلة وفي نفس الوقت خطيرة ولا بد من إجرائها، لكن لم يتذكر جيداً هل عملها أم لا، ربما لو أفاق من البنج لتذكر، وربما لو كان يحلم واستيقظ لعلم، وربما غير ذلك، وهل ما هو فيه له تفسير منطقي غير هذا، وهل من المنطق أن ينتقل الإنسان إلى عام ثلاثة آلاف "3000م " وهو في العام " 2024 " هل هذا يُعقل، مستحيل طبعاً ..!

ووجد نفسه في حيص بيص، وفي حيرة من أمره، يريد تفسيراً منطقياً لكل ما يحدث له، ولكنه لم يجد، "نعم هو قارئ جيد، قرأ كتباً كثيرة جداً صفراء وبيضاء تحمل أفكاراً كثيرة مثل هذا، وتتحدث في هذا الأمر، بل وشاهد أيضاً كثيراً من الأعمال السينمائية التي عالجت مثل هذه الأمور لكن أن يصل به الأمر أن يحدث معه شيئاً مثل، هذا غير معقول".

تمتم في نفسه، بصوت منخفض..

. تباً لهذه الكتب التي أفسدت رأسي.

ينتبه على صوت غريب أشبه بصوت تحديث الرسيفر وإذا هو بمركبة فضائية طائرة فوق رأسه تهبط في المكان المجاور وهو ما زال في هذا المكان الغريب العجيب.....

ينهض هذا الشاب وهو يطلب منه بأن يركب معه ويصطحبه إلى المنزل ليستضيفه معه، فلم يمانع خاصة بعدما أقنع نفسه بنفسه بأن الذي هو فيه الأن ما هو إلا حُلم أو ربما خيال يقظة، واعتبرها فرصة جيدة ليتعرف على المكان أكثر وأكثر ويستكشفه عن قرب واعتبرها رحلة خيالية جميلة..

ركب معه المركبة التي تشبه الطبق الطائر الذي قرأ عنه في تسعينيات القرن العشرين وشاهده في بعض أفلام هوليود، فهو مغرمٌ بهذه الأخبار وتتبُعها، وخصوصاً ما يتعلق بالاكتشافات الاثريث الحديثة، وعلوم الفضاء وعلم النفس، وما وراء الطبيعة، وكل هذه الأمور، وغيرها والتي تتعلق بالإثارة، والتشويق، والمتعة.

قام وركب معه، جلسا كلاً منهما أمام صاحبه، في مكان بجوار النافذة فهو مكانه المفضل دائماً، المكان جميل جداً بالداخل، ونظيف، وجيد التهوية، ومطليٌّ بألوان ورسومات غريبة، وعجيبة في نفس الوقت، جلسا في هدوء، وكل منهما له شاشة مناسبة للمكان، عليها تعليمات بكل لغات العالم، قرأ بالغة العربية بعض الإرشادات من نوعية ..

"اقرأ، فكر، تأمل، الرجاء ربط الحزام جيداً، المحافظة على نظافة المكان، الرجاء عدم إزعاج الأخرين أو الانزعاج، لا تحاول

تضييع الوقت فيما لا يفيد، ولو دارت محادثة مع صديقك فالرجاء بصوت منخفض رجاءً، ابتسم دائماً في وجه أخيك .. الخ ... الخ ... "

بعدما قرأ هذه التعليمات فكر أن يتعرف على هذا الشاب الوسيم الجالس أمامه، وضع يده على رأسه، ثم نظر إليه، سأله بصوت منخفض، عن اسمه، وعمله..؟!..

فأخبره بأن اسمه " يحيى" وأنه يعمل في مجال التكنولوجيا الرقمية الحديثة في إحدى المصانع العملاقة حيث يقوم بتصنيع البدلات الطائرة ذات الطراز العالي الجودة وبأنه ما زال يدرس في تمهيدي ماجستير، وأنه يهوى القراءة في كتب الأدب والشعر والروايات التي تتحدث عن الزمن الماضي، وجمع المعلومات، وتصليح ما يتلف في المنزل، وبأن أباه قد مات منذ فترة وترك لهم ثروة لا بأس بها، وبأن أمه مشغولة ومهتمة دائماً، بجوار ما تقوم به من أعباء المنزل، بتغيير لون بشرتها من حينٍ لأخر، ولون عينيها كذلك، وبأن له أخت أصغر منه ما زالت تدرس في إحدى الجامعات العريقة التي تهتم بعلم الجينات الوراثية ..

وتركه يحكي، ويحكي، وهو يستمع إليه بإصغاء تام، وفي ذات اللحظة راح ينظر من المركبة الفضائية العجيبة الصنع التي لم يرها إلا في أفلام الخيال العلمي، لكن هو يستقلها الأن .....

يتلفت حوله فيرى من حوله بشر مثله، لكن أجسامهم ضئيلة جداً وبسيطة، ونحيفة بل صغيرة جداً وكأنه انتقل إلى عالم الأقزام هو الوحيد بينهم ضخم الجثة، والمركبة يكاد سطحها

يلتصق برأسه ويلاحظ بعضهم ينظرون إليه وقد رُسمت على وجوههم علامات استفهام وتعجب كبيرة، بينما البعض الأخر لا يبالي به ولا يهتم ...

هو قرأ قصصاً كثيرة عن عالم الأقزام، وكم تمنى أن يذهب إليهم ليعيش معهم، فهم يتواجدون بكثرة في جزر" اندمان " بالمحيط الهندي وفي الفليبين وماليزيا أيضاً ...

"الأقزام قوم طيبون وأناس يتصفون بضآلة الجسم لكنهم طيبون جداً ومسالمون يعيشون عادة عيشة بدائية بسيطة وجميلة، ويعيشون أيضاً في أماكن متطرفة في قارة افريقيا ومن أشهر جماعات الأقزام تدعى نجريللوز ((nigrillos)) وتعيش في افريقيا الوسطى ولا يتجاوز طول الشخص البالغ 130 سم تقريباً وطول المرأة 120 سم "..

تمنى أن يكون كل ما يشاهده ويراه أحلام يقظة، وبأن الأمر برمته لا يعدو كونه مجرد حلماً ليس إلا، وتمنى أيضاً بأن يكون الأمر كله برمته مجرد خيال في خيال، أو ربما يكون من تأثير العملية الجراحية، والبنج اللعين الذي أخذه، لكنه لم يتذكر بالضبط هل عمل العملية أم لا ..؟!.

وتمنى بأن ما يراه ويشاهده هو في رأسه فقط، ولكن كيف وهو يشعر ويحس ويرى ويسمع، بل هو على يقين بأنه كان جالساً في القطار، وفي طريقه إلى العاصمة، لحضور المؤتمر السنوي الذي دعي إليه.....

مدَّ يده في جيبه أخرج الخطاب الذي جاءه في طيِّه الدعوة للمؤتمر، نظر إليه ليتأكد من أنه ليس في حلم.

نظرة تأمل طويلة، قرأه :

"نتشرف بحضور سيادتكم إلى المؤتمر الأدبي الكبير الذي سيعقد في العاصمة..... "

الجزء الرابع

الطبق الطائر يسبح في الفضاء بطريقة انسيابية، والسماء قد مُلئت بكائنات فضائية ومركبات غريبة الصنع وعجيبة أيضاً، لا يعرف كُنْها ولا كيف تطير، والبيوت معلَّقة في الفضاء.

حب الفضول دفعه لينظر من النافذة الزجاجية المعالجة ضد الكسر والأوساخ والميكروبات، وهنا لاحظ شيئاً غريباً البيوت المعلَّقة في الفضاء على هيئة عناقيد العنب، تدور معه ومن حوله كما لو كانت مشدودة بالكواكب ومعلقة بحبال خفية تربطها بالنجوم في السماء، ولاحظ الناس وهي تطير أيضا في الفضاء وتلتصق بالبيوت كالنحل الذي يلتصق بالزهور وثمار الفاكهة، وعناقيد العنب، وأشياء أخرى كثيرة غريبة الشكل وعجيبة الصنع كلها تدور حوله في بانوراما رائعة وجميلة .....

توجه إلى صديقه الجالس أمامه بوجهه فوجده يتابع اندهاشه وفضوله بشيء من المتعة والسعادة وهو يغالب ابتسامته التي يحاول أن يخفيها عن وجهه، يسأله

- ما هذا الذي أراه .. ؟!.
- هذه أبراج سكنية متطورة
- البيوت تكون على الأرض وليست في الهواء.
- .....

يضحك الشاب الوسيم ضحكة العارف ببواطن الأمور، ثم يأخذ نفسا عميقاً، ويسترخي على مقعده، وهو يقول له :

- هذا كان في الماضي يا عزيزي، زمان كانت البيوت على الأرض لكن اليوم الأمر اختلف تماماً، في هذا الزمان كما ترى البيوت معلقة في الفضاء بين السماء والأرض وفوق الماء، وتحت الماء أيضاً .
- معقول هذا، بيوت تحت الماء ..؟!!
- نعم معقول ومعقول جداً نحن في الألفية الثالثة يا عزيزي أنسيت ..؟!! ..
- وكيف حدث هذا الأمر ..؟!! ..
- لقد حدثت طفرة كبيرة ومتطورة على مدار عشرات بل مئات السنين الماضية وتطور الإنسان وطور من نفسه ومن أدواته ومن سكنه أيضاً حتى وصل إلى هذا الذي تراه، لقد اكتشف العلماء القوة الخامسة والسادسة وها نحن الأن نعمل بنظام القوة السابعة في الكون ..
- أنا أعرف القوة الرابعة وكنت أتابع بعض الأبحاث والتجارب والمقالات التي تتحدث عن هذا الاكتشاف الخطير من قوى الطبيعة لكن القوة السابعة هذه لا أعرف شيئاً عنها.

يبتسم الشاب الوسيم وهو يرد عليه قائلاً له بعدما اعتدل في جلسته، وقد وضع رقماً على الشاشة التي أمامه في الهواء مع بعض الرموز فيما يشبه الرقم السري الباسورد "password".

- القوة السابعة والثامنة والعاشرة أيضاً ومين عارف ماذا سيحدث بعد ذلك ..؟!!

تتوقف المركبة فجأة، تصدر ضوءً أحمر، تفتح ممراً، طاقة فولاذية مرنة، يقطع الشاب الوسيم حديثه معه، ويطلب من صديقه التهيئة للنزول :

- ها قد وصلنا يا صديقي، علينا أن نتهيأ للنزول الآن، وسنكمل الحديث لاحقاً في هذا الأمر
- وصلنا إلى أين ؟
- إلى بيتنا الجميل يا عزيزي أنسيت
- .....

وهنا يتوقف لسانه عن الكلام لكن عقله لا يتوقف عن التفكير يتذكر بأنه في رحلة غريبة وعجيبة من نوعها، رحلة تشبه الخيال العلمي أو كأنه دخل في كتاب ألف ليلة وليلة وقد أصبح أحد أشخاص حكاية من تلك الحكايات المثيرة وقصة من تلك القصص العجيبة، فهو يحب مثل هذه الحكايات والقصص التي تتحدث عن عوالم وأحداث خارج نطاق الزمان والمكان والمعقول والمنطق لتفصله عن الواقع المر الأليم الذي يعيش فيه.....

راقت له الفكرة أكثر واستمرئها فكان عليه أن يستمر في هذه القصة إلى النهاية، تلك القصة الغريبة العجيبة التي لا يعرف كيف بدأت ولا كيف ستنتهي ...

هز رأسه وهو مستسلم له تماماً، فأخذه صديقه من يده بعدما أخرج من جيبه شيئاً صغيراً يشبه لعبة الأطفال عرف فيما بعد بأنه جهاز ضبط الضغط والسكر في الدم، طلب منه بأن

يضعه في جيبه وأخرج له كبسولة صغيرة وطلب منه أيضاً بأن يضعها في فمه، فما كان منه إلا أن أزعن وفعل كما قال له دون سؤال أو نقاش إلا أنه شعر داخله برعشة خفيفة، وأحس بأنه يرتجف، وبأن نفسه تكاد تسحب منه، واختنق، وبأن ضربات قلبه ونبضاته تزداد في صدره، فأخبره بذلك، فطلب منه بأن يبتلع الكبسولة في جوفه بسرعة، ففعل، فهدأ قلبه وعاد نفسه طبيعياً وتوقف الاضطراب قليلاً، ثم أمسكه من يده بعدما ضغط على شيء ما في المركبة ليجد نفسه يسبح في الفضاء هو وصديقه ويطيرا في الهواء قد أخرج من بزته الصفراء اشعاعات غريبة ذات ألوان تشبه ألوان الطيف، ثم أتبعها بشعاع ضوء أزرق لامع ليجد نفسه عالقاً في إحدى العناقيد "الأبراج السكنية" المدلاة في الفضاء، ليجد نفسه في بيت لم يرى مثله من قبل ولا قرأ عنه حتى ولا في الأساطير، وراحت عيناه تدور في محاجرها تتفقدان المكان المهول في ذهول واندهاش، وهو يسأل صديقه ...

- كيف وصلتم إلى كل هذا ..؟!!
- بالعلم، وبالبحث العلمي، يا عزيزي كل شيء هنا يدور ويعمل بالتكنولوجيا ألم يقل الشاعر الكبير أحمد شوقي رحمه الله.. بالعلم والمال يبني الناس ملكه .. لم يبن ملك علي جهل وإقلال.

فجأة يدخل عليهما ضوء من الشرفة المجاورة، وإذ بكائن غريب يشبه الفراشة الجميلة، تقف أمامهما تخلع ثيابها

"المركبة الصغيرة التي ترتديها" والتي تشبه بدلة الفضاء الغريبة العجيبة، تقف تسلم على أخيها، وترحب بالضيف القادم من الماضي وهي تبتسم في وجهه، ثم تشكر أخيها على هذه المفاجئة الجميلة والهدية الرائعة وذلك كونه أحضره معه إلى البيت فلربما احتاجته في دراستها، ومجال بحثها العلمي ولسنة التخرج، وهو واقف بينهما في حالة ذهول واندهاش غير عادي، وقد هُيئ إليه للحظة بأنه انتقل إلى قاعة أبحاث سرية في إحدى المحطات الفضائية لوكالة ناسا الدولية، وأخذ يسأل نفسه في نفسه ..

. كيف عرفت اسمه ..؟ ولماذا تشكر أخاها لأنه أحضره معه..؟!!،وماذا يا ترى ستفعل به، أو معه..؟!!..وأية أبحاث تلك التي تتحدث عنها..؟!!.. و .. و .. ؟!! ....

تذكر هاتفه المحمول وضع يده في جيبه بحث عنه فلم يجده وتذكر حقيبته التي فيها أعماله الأدبية والورقة البحثية التي سيقدمها في المؤتمر، وتذكر المؤتمر نفسه، ودارت الدنيا برأسه، شعر بدوار وكاد أن يقع من طوله لولا صديقه قام بإسناده ووضعه على أقرب أريكة في المكان ثم أخرج بخاخة برائحة النعناع والقرنفل رش له منها وهو يطمئنه بعدم الانزعاج وعدم الخوف .. والفتاة واقفة تنظر إليه وقد أخرجت من سترتها ما يشبه الهاتف الخلوي، لتقوم بقياس الهواء والضغط في المكان، وأشياء أخرى كثيرة فيما يشبه العملية الحسابية المعقدة حتى

عاد إلى توازنه والتقط أنفاسه من جديد وفتح عينيه ليجد نفسه في نفس المكان، فحمدوا الله على سلامته ..

برهة تستأذن الفتاة تتركهما وتنصرف، تدخل تسلم على أمها، لتجد أُمها منشغلة ومهتمة بالجهاز الجديد الذي اشترته حديثاً من إحدى المعارض المهتمة بهذا النوع من أجهزة التجميل، وقد وضعت نفسها على الجهاز الجديد وقد ضبطت عليه بعض الصور لكبار المشاهير من نجمات السينما والمليكات للجمال على مر العصور لتحمل وجهاً راق لها لتضعه على وجهها وتنتظر قليلاً حتى يتم التثبيت وهي ترد على بنتها السلام وهي تنظر في المرآة وتسألها عن رأيها في الوجه الجديد الذي وضعته.. هل أعجبها أم لا، فتهز الفتاة رأسها وهي تقول لها .

- رائع يا مامي.

ثم تتركها وتنصرف إلى غرفتها المنمقة المرتبة الأنيقة الجميلة لتغلق عليها بابها، لتتقوقع في غرفتها وتعتكف على دروسها وأبحاثها فهي في السنة النهائية في الجامعة.

صوت ذبذبات يأتي من بعيد يصحبه صوت ارتطام وخبطة قوية تتبعها رجة خفيفة في المكان، لا يعبأ بها "يحيى" ولا من في البيت إلا هو يسأل صاحبه :

- ما هذا..؟

فيجيبه وهو يبتسم

- هذا خلل في النظام
- أي نظام هذا..؟!

- نظام التشغيل يا صديقي .!.. لا عليك سأشرح لك الأمر، وأخبرك بكل شيء ..

هنا يا صديقي كل شيء يعمل بنظام وانتظام، ولا يمكن وقوع خطأ أو خلل ما ولو واحد في المئة إلا فيما ندر، وما سمعته يا صديقي آنفاً من صوت فهو وقوع خلل في النظام الذي يعمل به أحدهم وقد تسبب هذا الخلل بوقوع اصطدام بشرفة المنزل وقد أحدث فيها بعض الخسائر ولكن البرنامج الموضوع في الشرفة قوي جداً سيقوم بإصلاح هذا الخطأ بنفسه وقد قام بتسجيل بيانات الحادث آنفاً وأرسل إليّ نسخة منها كما أنه أرسل نسخة أخرى من البيانات إلى وزارة الأشغال ووزارة الداخلية هنا أيضاً وسيقومون بعمل اللازم فالبيوت عندنا صعب اختراقها لأن عليها نظام حماية قوي وكاميرات تصوير حديثة بحيث لا يمكن اختراقها بأي حال من الأحوال، فلا تقلق يا أخي، وسنأخذ تعويضاً كبيراً على ذلك، أو ربما نعفو عن الذي تسبب في هذا الخطأ بعد مراجعة البيانات والصور مع الفيديوهات طبعاً ..

- أنا لم أفهم شيءً من كل الذي تقوله لي

يبتسم "يحيى" وهو يطلب من صديقه بأن ينسى الأمر برمته ويسترخي بعض الوقت أو إن شاء قام وأخذ حمام دافئ قبل أن ينام، وبعد ذلك سيكمل معه الحديث ..

وقبل أن يجيبه بالقبول أو الرفض يمتلئ المكان دخاناً وصوت ذبذبات غريبة مع بعض الأصوات العجيبة الغريبة تجعله يقوم

من مقامه مذعوراً ليتلفت حوله فيخبره صديقة "يحيى" بأن تلك الأصوات قادمة من غرفة أخته الصغيرة " مريم " ومن المعمل الذي اشتراه لها أبوها قبل موته لتقوم بعمل ما يلزم من شغل البيت لتساعد أمها، وتذاكر دروسها أيضاً، وبأن أغلب وقتها تقضيه في المعمل الصغير الذي اشترته من مصروفها وساعدها أباها في اختيار واختبار أدواته لتجري فيه تجاربها وأبحاثها العلمية ...

وظل صديقه الذي يعرف عنه كل شيء وهو لا يعرف عنه شيء إلا ما أخبره هو به عن نفسه ظل يحكي له عن أشياء غريبة لم يفهم منها شيئاً، وهو يحاول جاهداً أن يستجمع كل قواه العقلية والمنطقية ليفهم ما يدور، وما يحدث له من أمور وأحداث أغرب من الخيال وغير منطقية وغير معقولة بالمرة، وهو يعصر عقله ليفهم أصل الحكاية، وما هي أصل القصة التي وُجد فيها، وهو يخبره عن أشياء لا يمكن أن تُصدَّق بالمرة، وهو في حيرة من أمره، وهو يحاول أن يستجمع كل قواه العقلية ليجد تفسيراً منطقياً أو مبرراً لتلك القصة التي هي أغرب من الخيال والتي أُقحم فيها دون سابق إنذار أو أذنٍ أو إرادة منه.

الجزء الخامس

يجمع كل قواه المنهارة يلتفتُ إليه بنظرةٍ حادة وهو في شبه انهيار عصبي، وهو غير مصدق لما يحدث معه، يصرخ في وجه صديقه المبتسم له دائماً بصوت مُتَهَدِّج ليقول له :

- مستحيل يحدث هذا، صح، أكيد، أكيد أنا بحلم صح، أو على أسوأ تقدير وأسوأ احتمال أنا لست في وعيي، أكيد أنا تحت تأثير شيء ما، فليكن تأثير البنج اللعين نعم البنج اللعين ليس غيره، أنا لست في قواي العقلية الأن، أكيد أنا بحلم..؟! ..

يصمت صديقه فجأة عن الكلام، وهو يبتسم في وجهه ليهدئ من انفعاله وتوتره، برهة يقترب من الحائط الزجاجي السميكِ المعالج بطريقة لا يمكن اختراقها أو كسره..

يضغط يده على مكان ما فيفتح الحائط على منظر طبيعي جميل. مكان ملئ بالخضرة وشلالات من المياه العذبة والهواء النقي العليل راح يغزو المكان، مع أصوات العنادل، والعصافير، والقمري ..

ثم يقترب من مكان أخر يمد يده فيُخرج بعضاً من ثمار الفاكهة الطازجة يضعها في صندوق نحاسي جميل ويضغط على شيء ما فيه فيقوم هذا الجهاز بغسل الفاكهة وعصرها وتجفيفها ثم تحويها إلى حبيبات بالورية صغيرة ومن ثَّمَ إلى كبسولات

صغيرة جميلة الشكل، كل ذلك في بضع ثوانٍ معدودة، ومن ثم يأخذها " يحيى" ليقدمها لصديقه حتى يتناول منها ما يشاء.

- تفضل
- ما هذا ..؟!
- كما ترى عصير نقي وصحي في كبسولات ..

يضحك صاحبنا ضحكة هستيرية وهو يضرب كفاً بكف، وهو غير مصدق ما يحدث له، يتناولها ويقلبها في يده وهوما زال يضحك ضحكة تعجب واندهاش، ثم يصمت فجأة، ليقول لصديقه يحيى بصوت متعبٍ مجهدٍ منهار :

- أنا لست مريضاً حتى تعطيني كل فترةٍ كبسولة لأبلعها في جوفي، أنا أريد أن أشرب ماءً أو عصيراً بحق.
- وهذا هو عصير الفاكهة في ثوبه الحديث، صحي ومنقاه وبنسب معينة ومعالج بأحدث الوسائل التكنلوجية الحديثة .
- أنت تريد أن تخرجني من عقلي، أتريد أن تجنني، أقول لك عصير تعطيني برشامة وتقول لي هذا هو العصير الحديث، هههه

يقترب يحيى من المكان المفتوح على الطبيعة الخلابة، ويطلب من صديقه بأن ينهض ويتبعه وليخرجا سوياً في نزهة بين الأشجار، ويتمشيان سوياً في المساحات الشاسعة من الخضار الضارب في الآفاق ويستمتعا بالطبيعة الخلابة وهو يمد

له يده وابتسامته الهادئة العريضة لم تفارق مُحياه، وفي نفس ذات الوقت يعده بأنه سيخبره بكل شيء ..

ينهض، يقترب من صديقه الذي يشبههُ إلى حد ما إلا أنه أقصر منه بعض الشيء، يُمسك يده ويخرجان إلى الطبيعة، يتمشيان في المكان فيكتشف أنهما ليس وحدهما في المكان وإنما هناك أُناس أخرون كُثر، لكن أشكالهم غريبة بعض الشيء وغير مألوفة بالنسبة له كما يكتشف بأن المكان هو أيضاً غريب، يشبه جزيرة مهجورة في وسط أحد المحيطات، أو ربما تكون في كوكب أخر، أو ربما في مكانٍ ما في الدنيا لم يذهب إليه قبل ذلك ولم يتعرف عليه وإن كان كل شيء فيه يدعو للعجب وللفكر وللتأمل...

وكان يسير بجوار صديقه، وكله فضول وشغف بأن يعرف ما هذه الأشياء..؟!.. وكيف وصل إلى هنا..؟!.. وما أصل الحكاية وفصلها..؟!.. وما هي الحقيقة بالضبط ..؟! ..

وتذكر وعد صديقه الذي وعده به وبأنه سيخبره بكل شيء، فجأة، التفت إلى صديقه، وطلب منه أن يخبره بالحقيقة كما وعده، فنظر إليه صديقه " يحيى" وطلب منه عدم الاستعجال وأكد له وعده بأنه سيخبره بكل شيء..

وأمضيا وقتاً في طريقهما صامتين، حتى شعر بالتعب، يفت في جسده وقواه العقلية فطلب من صديقه بأن يجلسا في مكان ما ليتحدثا فيه فاستجاب له يحيى، اقتربا من صخرتين على هيئة تفاحتين مجوفتين يجلس "يحيى" على واحدة وطلب من

صديقه بأن يجلس على الأخرى التي أمامه، وهو يبتسم له نفس الابتسامة العريضة ثم طلب منه أن يأخذ نفساً عميقاً ويستريح، ثم بدأ " يحيى" في الحديث :

- الحياة يا فنان فيها أشياء أغرب من الخيال أليس كذلك..؟!
- هذه حقيقة فعلاً أنا معك في هذا لكن ..؟؟!....

قالها بصوت مهزوز ومضطرب ثم صمت يفكر برهة، لكن صديقه الواثق من نفسه لم يدعه يفكر طويلاً قال له :

- لكن ماذا ..؟!!
- لكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد الذي أنا فيه الأن فهذا قطعاً مستحيل .. أن ينتقل فجأة انسان إلى الألفية الثالثة وبدون مبررات أو مقدمات منطقية هذا مستحيل وضرب من العبث والجنون، بل محال، وتصديقه طبعاً ضرباً من الجنون ..؟!
- اصبر عليّ يا صديقي، مهلاً انتظر لا تستبق الأحداث ..
- أنا سأُجن، أنا أريد الحقيقة، أهل يُعقل هذا، لا لا أنا بحلم قطعاً بحلم.
- وهل كان يعقل في الماضي بأن الانسان يمكنه أن يطير في الهواء وبمعني أدق يركب الهواء ويحط على سطح القمر وعلى المريخ ويبني محطات في الفضاء يقوم فيها بدراسة الكواكب والمجرات التي تحيط بنا..؟!.. وهل كان يعقل في الماضي بأن الانسان يستطيع أن يغوص في

قاع المحيطات ويكتشف كل هذه الاكتشافات المذهلة..؟!.. العلم الحديث كل يوم يفاجئنا ويأتي بما لم يكن متوقعاً ويأتي بأمور تشبه المستحيل، وما لم يكن يُصدق من قبل، والعلماء كل يوم يفاجئوننا بأبحاث واكتشافات غريبة وعجيبة، بل إن الطبيعة نفسها من حين لأخر تدهشنا بأشياء رائعة لم تكن في الحسبان وتكشف لنا عن أشياء لم نكن نعرفها ولا قرأنا عنها من قبل.

- معك في كل هذا، لكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد، هل يمكن فعلاً بأن يستيقظ إنسان ما في زمنٍ ما ليجد نفسه في مكان أخر وزمان أخر مختلف، هل من الممكن أن يحدث هذا، وهل من المعقول أن نصدق هذا.
- ولما لا يا صديقي ما دمنا متفقين من حيث المبدأ بأننا نعيش في عالم مجنون مليء بالأسرار والألغاز وعصر العلوم والاكتشافات الحديثة والدنيا الغريبة العجيبة مليئة بالأسرار والألغاز..!
- اسمع بقى لما أقول لك، نعم من المعقول ومن المنطق أن يحدث هذا الأمر، نعم ويتقبل العقل هذا الشيء، لكن في حالة واحدة فقط
- وما هي يا صديقي الرائع ..
- في الخيال العلمي وفقط، وأيضاً قد يتقبله العقل والمنطق في أحلام اليقظة ليس إلا، لكن أن يُفاجأ المرء

ليجد نفسه قد انتقل الي زمان غير الزمان ومكان غير المكان سواء كان هذا الزمان والمكان في الماضي أو في المستقبل، لكن يا صديقي بأن يكون واقعاً أو حقيقة مستحيل، هذا أمر غريب وعجيب ومستحيل أيضاً بل من رابع المستحيلات وهذا أغرب من الخيال العلمي نفسه، بل أبعد وأغرب من الخيال نفسه ,...

يضحك صديقه من طريقة كلامه وتفكيره الساذج، يقوم من مكانه يستمتع بوردةٍ رائعة تحملها أنثى جميلة إليه، يمسكها بيده يشُمها وقتاً، ثم يضع يده في جيبه يخرج شيئاً ما يضعه في يد الفتاة التي تقبل يده وتنصرف، يلتفت إلى صديقه الذي ينظر إليه في صمت وهو يقول:

- تعالي لنتناقش بالعقل وبالمنطق وبهدوء يا عزيزي،
- أي منطق هذا وأي عقل تريده مني ..؟!!..
- نعم أنا أعذرك، فعلاً أعذرك لكن إن كنت أنت تستبعد هذا فأنا لا أستبعده إطلاقاً "never" لأن هذا واقع نعيش فيه، أنا أعيش فيه بل هو واقع بالفعل وأنا وأنت فيه، وأكبر دليل على هذا أنت هنا معنا الأن في الألفية الثالثة ...
- لا لا لا، أنت تريد أن تجنني بالفعل، أنا لست في الألفية الثالثة كما تزعم وإنما أنا نائم، وبحلم، نعم تذكرت أنا نائم في القطار، وكل ما هنالك وكل ما في الأمر أني أحلم بل أنا في كابوس، هذا حلم ليس إلا...

يضحك يحيى من صديقه ضحكة عالية وطويلة، ثم يصمت فجأة ثم يعاود الضحك من جديد، ثم يسكت قليلاً وكأنه يفكر في أمرٍ ما، ثم يضغط على شيء يشبه الساعة في يده، فتنفرد أمامهما في الهواء طاقة نور " شاشة هوائية إلكترونية متصلة بالإنترنت" يكتب شيئاً ما في الهواء، يبحث عن صديقه الكاتب والشاعر والروائي الذي يجلس معه ويحدثه، فتظهر له ملف صفحته واضحة جلية أمامه وفيها كل شيءٍ عنه من أول ما ولد إلى أن كان في القطار متجهاً إلى القاهرة لحضور المؤتمر الأدبي الكبير الذي دُعي إليه حتى لحظة مجيئهِ إلى الألفية الثالثة، ثم يلتفت إلى صديقه ويقول له:

- أرأيت يا صديقي العزيز كيف كنتَ في الماضي وكيف جئتَ إلى هنا وبأنك لستَ في حلم.

وراح يعيد المشهد الأخير مرةً تلو المرة وهو يحاول أن يكتشف شيءً يوصله للحقيقة لكن أخر شيء رآه هو أنه رأى نفسه وقد استرخى على الكرسي، وقد علق عينيه في سقف العربة وسرح بعيداً بخياله، وهو يفكر في هذا اللقاء الهام، وصديقه يتابع ما يفعل، وهو منتظر ردة فعله .

- أنا ما زلتُ معتقداً بأني أحلم فلا يمكن بأن يحدث هذا اطلاقاً .
- حتى بعد أن أتيتُ لك بكل شيء وأثبت لك ذلك وأتيتُ لك بكل تفاصيل حياتك الماضية ..؟!! ما زلت مصراً

على عدم الاعتراف بأنك لم تنتقل إلى الألفية الثالثة ..؟!!..

- نعم ما زلت أعتقد ذلك بل ومُصِّراً على رأيي وبعد قليل سأستيقظ من هذا الحلم بل الكابوس الذي أنا فيه، وربما الأن أنظر، وأنتظر ...

يهز نفسه هزاتٍ عنيفة معقدة، معتقداً تمام الاعتقاد بأنه سيستيقظ بعدها فهو يفعل ذلك دائماً عندما يكون في حلم ما ولا يريد أن يستمر في الحلم أكثر من هذا، ولا يريد أن يستمر فيه، ويعرف بأنه في الحلم، يضرب وجهه بالقلم ظاناً منه بأنه سيستيقظ من هذا الذي هو فيه فيفشل ويعاود المحاولة مرة أخرى، وصديقه ينظر إليه وهو يضحك عليه، وهو لا يكف عن المحاولة الفاشلة، وصديقه مشفقُ عليه، يقوم من مكانه يقترب منه وقد طوى رقعة الضوء واخفاها عنه، يضمه إليه برفق ثم يربت على كتفه بلطف وهو يقول له بنبرة حانية:

- هون عليك يا أخي ودعنا نتفق سوياً على نقطة مهمة

يلتفت اليه لفتة فيها من الجنون وذهاب العقل ما فيها وهو يقول له بصوتٍ عالٍ خرج عن صوابه واتزانه المعهود وقد نهض ليمد يديه في وجه صديقه وهو يقول له :

- وما هي هذه النقطة المهمة يا فيلسوف ..؟!
- هل تتفق معي يا صديقي أن كل شيء ممكن الحدوث في هذه الحياة ومحتمل الوقوع أليس كذلك، بل والعقل البشري يقول هذا، والعلم الحديث أثبت ويحاول أن

يثبت هذا، وأكثر من هذا بل إن العلم الحديث ليس له خطوط حمراء يا عزيزي.

- العلم له أراء وشطحات تتعدى حدود العقل والمنطق وقد تصل في كثير من الأحيان إلى درب من دروب الجنون واللامعقول .....

ثم يصرخ في وجهه وقد نفذ صبره بنبرة قويةٍ وحادة

- اللامعقول أني هنا ..؟!!

يُكمل صديقه في هدوء، وقد قام ليمسك بيد صديقه ويسير به إلى حيث جاء معه، فالوقت قد قرب على النفاذ والبيت الذي يسكن فيه قرب على الإقلاع من مكانه، ليقول له :..؟!

- ولا أدل على ذلك من الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي توصل إليها العلماء، والعلم الحديث والتي تشبه المعجزات وقد تصل إلى الخوارق أحياناً، فمن كان يصدق في القديم بأن الانسان يستطيع أن يطير في الهواء، وبأن يبني له بيوتا فوق الماء، أو أن يحط على سطح القمر، أو المريخ مثلاً، وصنع الغواصات ويغوص في قاع المحيطات، ويصنع الصواريخ، والطائرات، والعربات البرمائية الطائرة .. الخ ..الخ ...

وفجأة اقترب من الحائط الزجاجي، وهو يطلب منه بأن يدخل معه بسرعة إلى البيت، فما كان منه إلا أن استجاب له دون إرادة منه أو اختيار، وكأنه تحت تأثير شيء ما لا يعرف ما هو وهو في شبه انهيار عصبي ....

الجزء السادس

- نحن الآن ندور فوق الولايات المتحدة الأمريكية . قديماً . وتحديداً نحن نمر فوق ولاية بوسطن .

قالها "يحيى" وهو ينظر إلى جهاز البوصلة المعلَّق على الجدار.

- .....

نظر إليه وهو يحاول أن يجمع كل قواه العقلية المنهارة، ماسكاً رأسه بين يديه متظاهراً بأنه مصدقاً له فيما يقول، وكان يستمع إليه وهو يهز له رأسه وهو فاغر فاه وقد جلس كل منهما أمام الآخر، بينما يكمل حديثه له بشيءٍ من الحماس والاهتمام مع ابتسامة خفيفة على وجهه قائلاً لصديقه :

- أنت طبعاً مستغرب ومندهش من كلامي هذا، صدقني أنا لا أكذب عليك فيما أقوله لك ..

وهنا خرج الرجل من صمته ليقول له وهو يحاول أن يخفي انفعاله بنبرة ساخرة، تهكمية :

- عادي جداً، ألست تقول أنَّا نعيش في الألفية الثالثة .. إذاً لما العجب في هذا، ولما لا أصدقك يا عزيزي هههههه

وراح يقلب كفَّيه ويضربهما، يقترب منه "يحيى" ليربت على كتفه وهو ما زال مبتسماً ابتسامته المعهودة تلك الابتسامة الهادئة التي لم تفارق مُحَيَّاهُ ووجهه البشوش وهو يقول له:

- أنا سعيد جداً أنك أخيراً ابتدأت تقتنع وتصدق وتستوعب الموقف .. يااااه ...

يصرف الرجل نظره سريعاً على شيء غريب جاء ومر من ناحية الشمال، لم يتوقف عنده كثيراً، ولم يهتم مما رآه، ولم يرتجف له، وإنما أعاد النظر إلى صديقه "يحيى" وبكل هدوء وبصوت ضعيف ورباطة جأش قال له :

- وعليك أنت إذاً أن تخبرني وتعلمني كل شيء في هذا العالم الجديد الذي انتقلتُ إليه.
- حباً وكرامة، سأخبرك، وأشرح لك ما قلته لك منذ قليل وأرجوك أن تستوعب ما سأقول.
- أكيد، أكيد يا صديقي الوحيد في الألفية الثالثة ..

قالها له وهو يهز رأسه، وقد أبدى له الرضى والإنصات له والاهتمام بما سيقول :

- نحن يا صديقي في عصرنا هذا . في الألفية الثالثة . نعيش في أبراج زجاجية معلَّقة في الهواء متصلة بالكواكب والنجوم تصور نحن نعيش في بيت ضمن مجموعة أبراج تسمى "النحلة الجبلية" معلقة في كوكب "نيبتون" الكوكب الأزرق، فالأسعار غالية جداً هنا يا صديقي والمساكن أثمانها نار، لذلك اكتفينا بهذا البيت.

أمسك الرجل رأسه بيديه الاثنين مرة أخرى، وقد شعر بصداع يكاد يفلق رأسه نصفين، لأنه تذكر أنه لم يشرب شاي منذ

مجيئه إلى هنا ولا سجائر أيضاً، محاولاً أن يُبدي هدوءً مصطنعاً، قائلاً له وهو يضحك.

- أنت هـ تقول لي، بس ازاي، بس معقولة، وأنتم كمان عندكم أزمة مساكن.

ثم ضحك مواصلاً كلامه وقد أخذ الحديث إلى مسار أخر.

- طاب ما فيـ ش عندكم شاي.

قالها، وضحك الاثنان معاً، يقاطعه "يحيى" ولا يدعه يكمل، فقد شعر بالإحراج وبأنه قد أثقل على الرجل في الكلام، فأراد أن يجاريه فيما يقول بروح الفكاهة والمرح .

- طبعاً في شاي، ثواني.

ضغط "يحيى" على الحائط فخرج الشاي على صينيه جميلة وأنيقة، أمسكها الرجل في يده ونظر فيها فوجد الشاي عبارة عن مشروب غريب لم يره من قبل، قرَّبه منه ليشمه بأنفه، فاشتم رائحة غريبة لا تشبه رائحة الشاي الذي يعرفه فسأل صديقه:

- ما هذا..؟!
- شاي .. ألم تطلب شاي ..
- نعم ولكن هذا أي شيء إلا أن يكون شاي
- كل شيء تطور يا عزيزي، تفضل
- آاه نيست أني في الألفية الثالثة ..

تناولَ رشفة من الفنجان وصديقه "يحيى" يكمل حديثه معه

- تصور يا عزيزي أن الواحد منَّا لا يستطيع الزواج من غلاء الأسعار في هذا الزمان

- .....

وظلَّا هكذا يتحدثان وقتاً لا بأس به حتى لمح الفتاة "مريم" وقد خرجت تواً من غرفتها، واتَّبعتها أمها التي تبدو أصغر منها سناً فطلب منه بأن ينهض ويتبعه حيث طعام العشاء، فقد جاء ميعاده، فشكر صنيعه واعتذر له معللاً ذلك بأنه لا يشعر بالجوع الآن، لكنه أصر على ذلك لكي يتناولوا طعام العشاء جماعة، أمسك بيده وانطلقا إلى حيث غرفة الطعام.

يدخل معه الغرفة، يجلس معهم حيث جلسوا على مائدة مستديرة ليس عليها شيء من طعام أو شراب، اللهم إلا بعض الأيقونات الصغيرة الغريبة، وبدأ يرسل عيناه لتدور في الغرفة يستكشف كل شيء فيها، رأى الفتاة وهي واقفة تُخرج من خزانة صغيرة أمامها بعض الأساور التي تشبه ساعة اليد تعطي كل واحد منهم إسورة وتطلب منه بأن يضع هذه الإسورة في يده، لم يندهش، ولم يستغرب، ولم يسأل أيضاً لماذا يفعلون ذلك، تناول الإسورة من أمامه ووضعها في يده مثلهم في صمت، وانتظر ماذا سيحدث بعد ذلك، برهة من الوقت أخرجتْ فيها الفتاة جهازاً صغيراً بحجم كفة اليد من أحد الأدراج وراحت تنظر فيه، بينما " يحيى" كان يقدم صديقه لأمه المتصابية وهي تعبث بشعرها وهو ينظر إلى الفتاة من حين لأخر ولا يفتح فمه منتظراً ماذا سيحدث بعد ذلك، وكأن مطراً نزل عليه من السماء فجأة وصقيعاً جعله يرتعش وشيء من الصمت والهدوء.

ينتبه فجأة لصوت المرأة الجميلة أمهما، وهي ترحب به وهو يرد عليها التحية بكلمات مقتضبة وعينه لم تزل على الفتاة التي تُعِدُ بعض الأشياء الغريبة وهو يرقبها ليعرف ماذا تفعل في هدوء، وأخيراً قدمتْ الفتاة أمام كل واحد منهم على المنضدة طبقاً به بعض الكبسولات التي قد أعدتها ولم تنسَ بأن تضع أمامها هي الأخرى الطبق الخاص بها ثم جلست وهي تقول لهم :

- تفضلوا بالهنا والشفا.

فيتناول كل منهم الكبسولات الصغيرة ويضعها في جوفه، ما عداه هو، ظل ينظر إليهم وإلى الطبق الذي أمامه باستغراب ولم يمد إليه يده، فطلبوا منه بأن يتناول عشاءه حتى ينصرفوا.

- ما هذا ..؟!

قالها لهم وهو في اندهاش، ضحكت الفتاة وأمها من سؤاله مع نبرة صوته ولهجته المميزة التي أتى بها من الزمن الغابر بينما "يحيى" قال له بصوت هادئ وابتسامته الجميلة لا تغادر وجهه البشوش

- إنه طعام العشاء يا صديقي العزيز، إنه طعام لذيذ حقاً، ذقه وستعرف بنفسك ..!

الفتاة وأمها تواصلان الضحك فيشاركهما مع "يحيى" صديقه وظلوا يضحكون حتى ضجَّ المكان بالضحك، وفجأة يصمت الجميع ليواصل "يحيى" حديثه لصديقه بصوت يحمل نبراتٍ جادة :

- سأخبرك بكل شيء، بما رأيتَ، وبما شاهدتَ، لا تقلق ..!

تقاطعه "مريم" أخته، تلك الفتاة الجميلة التي لا تتعدى التاسعة عشر ربيعاً لتقول لأخيها في حماس وقد قامت من مكانها وهي ترمي يديها في الهواء في كل اتجاه.

- لا، لا، أنا التي سأخبره.
- تفضلي .. تفضلي
- أنا كنتُ أراك وأنتَ تتابعني بنظراتك، تريد أن تعرف ماذا أصنع .. حسناً، سأخبرك، تلك الأساور التي في أيدينا والتي تشبه الساعات في زمانك ما هي إلا جهاز صغير يوضع في اليد ليقيس مدى احتياج الجسم إلى الطعام وما العناصر التي يحتاجها وما الكميات المطلوبة بالضبط ثم يظهر ذلك كله في هذا الجهاز الذي تراه أمامك على المنضدة، ثم قمتُ بتركيب تلك العناصر بالكميات المطلوبة ووضعتها في هذه الكبسولات التي أمامك على هذا الجهاز والتي لا تريد أنت أن تتناولها، أظن الآن وضح كل شيء لك، ويمكنك تناول طعامك بسلام ..
- وأين الطعام، أين الفاكهة وأين الخضار وأين اللحمة وأين الدجاج والشواء وما شابه..؟..

قالها لهم بطريقة ظريفة ساخرة فضحك الجميع من كلامه وأسلوبه الغريب في الكلام مرة أخرى، وهنا تتدخل الأم في الحوار لتقول له :

- أنت انسان ظريف جداً، وطيب، وأنا لا أعرف ماذا أقول لك لكن ستتعود على ذلك، وأتمنى أن تظل معنا ولا تفارقنا أبداً

يشكرها بابتسامة باهته وبعض الكلمات اللطيفة وفي قلبه لا يتمنى ذلك أبداً، ولسان حاله يُكذب ما يقول بلسانه، يتناول عشاءه" الكبسولات الثلاثة الصغيرة مع جرعة ماء" ثم ينصرف الجميع ليأخذوا قسطاً من الراحة، تذهب الأم مع بنتها إلى غرفة نومهما، بينما "يحيى" يأخذ صديقه إلى غرفة نومه ليستريح..

"يحيى" شاب انطوائي ليس معه أخ، وأصدقائه قليلون جداً، ودائماً يشعر بالوحدة، مات أبوه وترك له حملاً ثقيلاً وضعه على كاهله، فكان عليه أن يعمل ليصرف على البيت وتعليم أخته، وفي ذات الوقت كان يدرس حتى حصل على شهادة علمية كبيرة أهلته بأن يعمل عملاً مهماً " ...

دخلا غرفة النوم، فوجدها مليئة بالأجهزة الإلكترونية والتي لا يعرف شيئاً عنها البته، ضغط "يحيى" على شيء في الحائط فانقسمت الغرفة إلى غرفتين متساويتين بينهما حائط جرار أشبه بالسور الحديدي، ثم أخرج له دولاباً به مجموعة من منامات وطلب منه أن يغير ثيابه، فشكره وأخبره بأنه يحب أن ينام بثيابه التي يرتديها، هذه عادته، ولا يمكن تغييرها، فاحترم رغبته في ذلك، ثم سأله إن كان يريد النوم فيغلق عليه الجدار ليستقل بغرفته، أم يريد أن يتحدث معه قليلاً، فأبدى له رغبته بأن يظل مستيقظاً، فهو من هواة السهر أصلاً، فأخبره بأنه

عكسه تماماً، ولكن نزولاً على رغبته سيظل يتسامر معه لبعض الوقت لحين أن يأتي ميعاد نومه، ثم يستأذن منه لينام، وهنا بادره بالسؤال قبل أن يجلس على أريكته :

- أنا أريد أن أعرف منك كيف عرفتني عندما رأيتني هناك لأول مرة ..؟!!

فرد عليه بكل هدوء وثبات :

- بما أن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم هكذا نحن يا صديقي.
- أنا أعرف ذلك، لكن كيف حدث هذا، وضح أكثر لو سمحت ..؟!!
- الكون يا عزيزي مليء بالأسرار والألغاز وأنت تعرف ذلك جيداً ومع ذلك سأخبركَ.

كان في الماضي في زمانكم حلم كبير يراود العلماء، هذا الحلم هو أن يُستدعى ويستخلص الانسان الأصوات والصور للذين رحلوا عنهم، وللقدماء الغابرون من الفضاء وعلى ما أظن وأعتقد بأن هذا الحلم كان أول من حَلُمَ به هو الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان" وظل الانسان يحاول ويحاول حتى وصل في عصرنا هذا إلى مبتغاه وإلى طريقة عجيبة وغريبة استطاع من خلالها الإنسان بأن يستخلص بها الأصوات والصور التي مضت من سنيين، من كل مكانٍ في الفضاء .

- أظن أنا قرأت شيئاً من هذا القبيل في الماضي، لكن كل ذلك كانت مجرد نظريات في الهواء.

يضحك "يحيى" وهو يضغط على شيء ما في يده أشبه ما يكون "بالريموت كونترول" فتظهر أمامهما شاشة عرض هوائية كبيرة ضوئية أشبه ما يكون بشاشة السينما معلقة في الهواء، ويلتفت لصديقه وهو يقول له :

- أنت تعرف أن للكرة الأرضية غلاف جوي يحيط بها من كل جانب ليحميها من الأشعة الضارة الآتية من الفضاء البعيد والكواكب الأخرى وخاصة الشمس وبالتالي هي تحجب وتحجز خلف الغلاف من الداخل الصوت والصورة معاً من أن تتسرب إلى الفضاء الخارجي المتسع الرحب وبذلك يكون كل شيء مازال موجوداً داخل الكرة الأرضية، ولم يغادرها، الأصوات والصور التي تحيط بنا من كل جانب، أصوات العربات، والبشر، والحيوانات والطائرات، وأمواج البحار، وحفيف الاشجار، الخ، الخ..

مازالت موجودة يا عزيزي وحاضرة داخل الكرة الأرضية إلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى، وقد استطاع العلماء في هذا الزمان الوصول إلى تقنية حديثة" اكتشاف " تمكنوا به من استدعاء هذه الموجات ذات الطاقة المحدودة والمتباينة وعرفوا مكانها واستطاعوا أن يعيدوها كما كانت واستطاعوا أيضاً من خلال هذه الطريقة التي هي عبارة عن جهاز يستطيعون الوصول به إلى الأصوات والصور التي تسبح في الفضاء

واستخلاصها، وترميمها، وتمييزها من بعضها وتحميلها على شرائح إلكترونية حديثة، تُباع الأن في الأسواق.

- لكن كما قلت لك أن بعض العلماء استبعد هذه الفكرة تماماً وقالوا بأن تلك الجزئيات وذرات المواد كالجبل والجدران والصخور تتأثر تأثيراً محدوداً بموجات الطاقة المنبعثة من الأشياء ثم تعود كما كانت لوضعها السابق لذلك يستحيل فعل هذا، أتفهم ..!!
- نحن عندما نتحدث يا صديقي العزيز معاً تخرج منا موجات صوتيه يدخل جزء منها في الأذن والباقي يسبح في الفضاء المتسع كما شرحت لك وتسبح عبر الأثير فتعبر الأجواء وقد تتحول وتنعكس وقد تضعف وهذا يدل على شيء واحد فقط لا غير بأن كل شيء في هذا الكون وهذا الوجود حدث وسيحدث ما زال موجوداً إلى الآن في الفضاء الخارجي الواسع وفي مكان ما هناك وهذا ما اشتغل عليه العلماء في عصرنا هذا وحققوا فيه نجاحاً كبيراً في العصر الحديث في الألفية الثالثة كما ترى..
- .....

لحظة صمت ينظر كل منهما فيها إلى شاشة العرض الكبيرة المعلقة أمامهما في الهواء دون حامل، وفجأة يقطع هذا الصمت صوت "يحيى" وهو يقول لصديقه بعدما نظر إليه وهو يبتسم :

- تحب تشاهد نفسك وأنت صغير، ولا وأنت صبي، ولا وأنت شاب، ولا ... ولا ..

يقاطعه الرجل بحماس ولم يدعه يكمل بعدما يكون قد انتفض من مكانه وقد أولى الأمر اهتماماً .

- أحب أن أرى نفسي لحظة تحولي، ولحظة دخولي إلى الألفية الثالثة لأعرف كيف جئت إلى هنا كما تزعم هل هذا ممكن..؟!!
- هذا صعب يا عزيزي ..
- وما الصعب في هذا، ولماذا، ولما، ألم تقل بأنكم توصلتم إلى كل هذه الأمور في هذا الزمان، أمرك عجيب يا أخي..؟!!..
- اعفِني من هذا أرجوك ..؟! .. الإجابة صعبة ..!!
- لا لن أُعفيك من هذا أبداً، أريد أن أعرف كل شيء، أظن من حقي أن أعرف، كيف جئتُ إلى هنا، وكيف سبقت الزمن، أنا أعرف هذا، يمكن أن يكون في الخيال العلمي، أو في الأحلام مثلاً، أما في أرض الواقع فهذا صعب ومستحيل ..؟!!
- تعرف قصة أهل الكهف الذين أووا إلى الكهف وماتوا ثم أحياهم الله بعد ثلاثمئة سنة بالتقويم الشمسي وازدادوا تسعاً بالتقويم القمري، وكانت تلك آية ومعجزة من الله عز وجل وكرامة لهم.
- لكن أنا لم أمت، ثم أنا أمامك الآن، تقصد أني متُ، أشعر بأني في حلم أقرب منه إلى كابوس مزعج فظيع، أنا كيف حدث هذا معي كل هذا، لا أدري .. أكادُ أُجَن ..؟!!

يضغط الشاب الوسيم " يحيى" على نفس الجهاز الذي في يده لتختفي فجأة صورة الرجل والشاشة من الهواء، ثم يلتفت إلى صديقه وقد بدى على وجهه مسحة من الحزن والتأثر والتعاطف مع الرجل وقد اختفت الابتسامة من على وجهه البشوش، ليقول له :

- أنا يا صديقي لا أقصد هذا إطلاقاً، الذي وصلك لا أقصده، أنت لم تمت بالفعل صدقني، أنا حزين جداً لأجلك، ويؤسفني أنِّي لا أستطيع مساعدتك في هذا الأمر، ليتني أستطيع مساعدتك بالفعل ...

ثم يصمت للحظات وكأنه يفكر في أمرٍ ما هام قد عنى له ثم يكمل بنبرة منفعلة ينطق ليقول له:

- أنا لم أحضرك من عالمك، أنت الذي أتيت إلينا، ونحن لم نأتي إليك، ولا تسألني كيف أتيت، لأني لا أستطيع أن أُجيبك عن هذا السؤال الصعب الأن.
- أعرف ذلك جيداً، لكن أنا أريد أن أعرف لماذا جئتُ ..؟.. وكيف جئتُ، ولما، وإلى متى سأظل هكذا، وهل سأعود مرة أخرى إلى عام " 2024 ميلادياً " ... ؟!!
- .....

الجزء السابع

في الصباح يستيقظ الجميع إلا هو فانه لم ينم لليلته أصلاً، فقد ظل طول الليل يفكر فيما حدث له، وفي كل ما يحدث حتى كاد عقله أن يتوقف من كثرة التفكير، ولم يستطع أن يستوعب كل هذا الكم من الاشياء الغريبة التي حدثت حوله، وهو لا يكاد يصدق نفسه، يسمع أصوات العصافير، والحمام من حوله لكنه لا يرى شيئاً، يتساءل في نفسه :

. أيعقل هذا، أو هل يُصِدق العقل هذا الكلام، هل يُعقل أن أنتقل بين غمضة عين وانتباهها إلى الألفية الثالثة، في غمضة عين وانتباهها، وأنا لم أزل في القرن الواحد والعشرين مستحيل طبعاً....

"نعم، هو قرأ عن هذا الشيء الكثير في الكتب الصفراء والبيضاء بل وشاهد عشرات الأفلام والفيديوهات التي تتحدث عن هذا الأمر وكثيراً من القصص التي عالجت هذه الفكرة في السينما، لكن كل هذا كان لا يتعدى كونه خيالاً في خيال يسبح في رؤوس مؤلفين شطحوا بعيداً بعقولهم وتخيلوا هذا الأمر، وراحوا يحلمون به، وهو واحد منهم، لكن أن يصبح كل ما قرأه في الكتب وما شاهده في الأفلام من خيال إلى حقيقة يعيش فيها هذا شيء محال وفوق الخيال نفسه".

يُرجعه من تفكيره وشروده صوت هذا الشاب النائم بجواره "يحيى" وقد استيقظ توًا، يخرج من منامته البنفسجية وهو

نشيط، ليرتب غرفته الصغيرة، ويعيد كل شيء على ما كان عليه من قبل وذلك بمساعدة الانسان الآلي الذي اشتراه من أول راتب له ليقول له وقد قام من مقامه، ليُجري بعض التمرينات الرياضية التي تعود عليها كل صباح وقد خرج من شرنقة نومه البنفسجية.

- صباحك سعيد صديقي العزيز.
- .....
- يبدو أنك لم تنم جيداً ليلة أمس.
- .....

يكتفي بالنظر إليه وهو يهز له رأسه بالإيجاب، يبادره صديقه "يحيي" وهو يقول له بعدما جلس لجواره بعد فراغه من التدريبات الصباحية وراح يجري محادثة مع أصدقاه في العمل ثم يعود لما كان عليه من تمارين صباحية :

- هيا يا صديقي كن معي، ألا تحب الرياضة، إنها مفيدة جداً للجسم والعقل معاً .
- .....

كان يستمع إليه وهو يبحث عن سجائره التي نفذت وفرغت منذ ليلة أمس لعله يجد واحدة يُشعلها وينفخ فيها كل ما بداخله من حنقٍ وغيظٍ، وأشياء أخرى غير مريحة بداخله ..

بحث في جيوبه أكثر من مرة، فلم يجد شيئا، فهداه تفكيره بأن يبحث في حافظة نقوده، فكثيراً ما يضع فيها سيجارة أو سيجارتين وبالفعل وجد ضالته، سيجارة مكسورة.

ينتهي " يحيى" من تمارين الصباح، يدخل الحمام ليأخذ دشاً من الماء الفاتر، بينما صديقه يجلس في وجوم وحيطة وحذر متحفزاً لأي شيء خائفاً يترقب.

تذكر أنه كان قد وضعها في حافظة نقوده حتى يشتري لها دفتر" بفرة " وقبل أن يمد يده إليها أخرج هويته، بطاقة تحقيق الشخصية، قرأ بياناتها، الاسم، السن، العمل، العنوان، الرقم القومي، وقبل أن يضعها مكانها، صدمت يده ورقة كبيرة بعض الشيء فظن أنها ورقة يقبع بداخلها إحدى القصائد التي كان قد كتبها، سرح بعقله بعيداً للحظة وتذكر أنه طُبع له خمسة دواوين شعر، وكذلك ستة مجموعات قصصية، ورواية جديدة في عام واحد فقط الفين وواحد وعشرون " 2021 " وكتبه تجوب المعمورة كلها وتتصدر قائمة المبيعات في المعارض، وتذكر أيضاً أنه كان في طريقه لإحدى المؤتمرات الأدبية المهمة التي دُعي إليها ووُجِهتْ له دعوة رسمية من وزارة الثقافة، وتذَكر أيضاً أنه كان في القطار قبل أن يجد نفسه في هذا الكابوس وهذه التوهة...

خرج من تداعياته سريعاً لينظر في الورقة التي ترقد في حافظة نقوده بجوار بطاقته الشخصية، أخرجها، نظر فيها، قرأ ما في جوفها، هو يبتسم في نفسه، وهو يتمتم " إنها روشته طبيب " قرأ اسم الطبيب .. فتذكر .. أنه كان قد قام بالكشف عنده بعدما أصابته نوبة برد شديدة مع نوبة صرع.. فكثيراً ما يأتيه هذا الدور" البرد " وخاصة في الشتاء حتى صار يكره فصل الشتاء

ويعده من ألد أعدائه، لكن الشيء الذي أدهشه هو أنه لم يُتم العلاج بعد فالتاريخ والأرقام التي على " الروشته " يشير بأنه لم يُعِد الكشف بعد عند الطبيب، واصل القراءة، تذكر أنواع الدواء الذي كتبه له الطبيب، تذكر، وتذكر، وتذكر أيضاً كلام الطبيب له وهو يبتسم في وجهه ويهدِّئ من روعه.

- الموضوع بسيط ولا يستدعي كل هذا القلق والتوتر.
- عندي ايه يا دكتور .. صارحني أرجوك
- قلت لك الأمر بسيط وهين ..
- كيف ..؟!.. ماذا.. ؟!
- دور برد يا سيدي، وستأخذ هذا العلاج وتشفى منه إن شاء الله تعالى ..
- ربنا يجعلك سبب يا دكتور، ولكن هذا العلاج فيه مهدِّئ للأعصاب، يعني نوع من أنواع الإدمان يا دكتور ..

ينظر إليه الطبيب نظرة تعجب وهو يرفع يده وعينه من فوق الورقة " الروشته " ليقول له بنفس ذات الابتسامة التي اتسعت على وجهه حتى بانت أسنانه البيضاء :

- مين قال كده، لا يا سيدي، ده بس عشان التوتر الذي لديك والانفعال الذي عندك عشان تهدأ وتنام بالليل، ولا تفكر كثراً، وأشوفك مرة ثانية إن شاء الله بعد أربعة أيام ..!!

يمد يده وهو يشكره، فيضغط الطبيب على الجرس، وهو يمد يده ليودعه، وينصرف ..!

عاد ليجد نفسه في نفس الكابوس المزعج، كوَّر ورقته "الروشته" ثم وضعها مكانها، وجلس ليشعل سيجارته، وراح يسأل نفسه، وهو يحاول أن يخرج من هذا المأزق وذاك الكابوس المزعج وهو يسترسل في تداعياته، وتفكيره ....

-"أيكون فعلاً كما قال الطبيب بأن كل هذه أوهام، وبأني متوتر ومضطرب ويلزمني الهدوء والراحة، أيكون فعلاً كل هذا بسبب هذا الدواء الذي كتبه الطبيب لي، جعلني أهذي، وبأن كل هذا أوهام في أوهام برأسي بسبب هذا الدواء اللعين وأن الأمر لا يتعدى كونه كابوساً في منام، وكل هذا ما هو إلا مجرد تهيؤات، وفقط.. "

أعاده إلى نفسه صوت صديقه وهو يسأله .. ماذا كان يصنع آنفاً ..؟!! ..

فأخبره بأنه يشعل سيجارة .. لكنه أعاد سؤاله مرة أخرى وسأله عن الورقة التي كانت في يده، فاقترب منه، همس في أذنه

- ماذا كنت تقرأ..؟!.. وما الذي كان في يدك ..؟!.

فهذا الأمر كان غريباً بالنسبة له وألفت انتباهه، فهز رأسه وأجابه دون اكتراث ليجيب فضوله..

- روشته طبيب ليس إلا ..

فضحك "يحيى" حتى مال على ظهره وهو يقول له :

- أرني ماذا كتب لك ..؟!..

يُمسك الورقة "يحيى" من صديقه القادم من العالم الماضي بعدما كان قد أخرجها له، وراح يقرأ ما فيها في صمت ثم نظر إليه هو يضحك، في تعجب، وقال له:

- ما الذي يُضحكك أيها الفتى ..؟!.

دفع إليه لورقة وهو يقول له ويواصل ضحكه

- هذه أشياء كانت في الماضي وعفى عنها الزمان يا صديقي، نحن في الألفية الثالثة، ألا تعلم ذلك كل شيء هنا يعمل بحساب دقيق، وليس هناك احتمال خطأ ولو واحدٍ في المائة .

كان يستمع إليه وهو يدفع الورقة في جيبه دون مبالاة لما يقول، وواصل شحذ نفس عميق من سيجارته الأخيرة، ثواني معدودة يحدق فيها بعيداً، وكأنه يفكر في أمر ما ..! ثم التفت إلى صديقه وهو يقول له :

- أنا لم أصدق بعد أني في الألفية الثالثة، والأمر لا يتعدى بالنسبة لي كونه كابوساً لعيناً، وسأستيقظ منه حتماً.
- لا عليك يا عزيزي، ولكن هيا بنا الأن إلى غرفة الطعام لقد تأخرنا كثيراً والعائلة في انتظارنا ..!
- أنا لست بجائع.
- حسناً لكن لابد من الجلوس مع الأسرة، والعرض على الجهاز ..!
- أي جهاز .. ؟!..

- لا تخف يا صديقي فإنه جهاز الطعام، ليس جهاز كشف الكذب، ألا تعلمه، أنسيته ..!!
- حتى ولو كان، ليس لي رغبة في الأكل الآن
- ولكن هذا البروتكول، والنظام عندنا لابد منه، أم تريد مخالفة النظام يا صديقي ..!

قالها له وهو يقترب منه وهو يهمس في أذنه.

- ثم لا تنسى الدفء والترابط الأسري.

وأمسك بيده وخرج معه إلى غرفة الطعام، ليجد أمه وأخته مريم في انتظارهما، وكان في الطريق يحدثه عن أهمية الترابط الأسري الذي أغفلوه في الماضي، وهو لا يسمع إلا أصوات الكواكب والنجوم التي تدور في الفضاء البعيد، يدلف يحيي إلى غرفة الطعام ومعه صديقه وهو يقول :

- صباح الخير ماما، صباح الخير مريم
- صباح السعادة والسرور، حبيبي، كيف حال صديقك البارحة
- بخير يا أمي والحمد لله رب العالمين

يتناول الجميع طعام، وجبة الفطور، وهو ينظر إليهم، وينتظر أن يفرغوا لينصرف كل منهم إلى ما يجب أن يفعله..

"يحيى" يأخذ صديقه في رحلة معه إلى مقر عمله حيث مصنع البذلات الفضائية، وذلك بعدما يكون قد أعطاه بذلة طائرة من بذلاته القديمة، وعلمه كيف يستخدمها، ومتى يطير بها ومتى يتوقف ومتى يُهدِّئ من سرعته، فتلك البدلة الطائرة في

مستوى جسده، وهو أيضاً على قدر كبير من الذكاء الذي يجعله يتعلم منه بسرعة، فهو مولع بالإلكترونيات منذ الصغر وكان يتمنى أن يكون مخترعاً كبيراً يشار له بالبنان لكن الظروف لم تتهيأ له ولم تساعده الحياة على ذلك..

إلا أنه كان يحب القراءة كثيراً بنهم في كل شيء، وخصوصاً في هذا الأمر لدرجة أنه لم يدرس الإلكترونيات ومع ذلك عندما اشترى جهاز الكمبيوتر وكان وقتئذٍ حديث العهد به، استطاع أن يُعلِّم نفسه بنفسه وليس هذا وحسب وإنما أيضاً تعلَّم الصيانة وبرع فيها، وكأنه قد حصل على دورتين " هاردوير، وسوفتوير " وهو لم يفعل ذلك ...

وراق له الأمر وهو يرتدي تلك البذلة الطائرة التي تشبه بذلة رواد الفضاء الذين كان يشاهدهم في المحطات الفضائية التابعة لوكالة ناسا الفضائية.

ضبط "يحيى" كل شيء، السرعة، الوقت، ودرجات الحرارة لتلائم الجو خارج السكن، والمدة المحددة للسرعة، وراحا يُحلقان في الفضاء البعيد دون أن يتهيب الوضع وكأنه في عالم خيالي، فقد اكتسب خبرة لا بأس بها من ليلة أمس ومن توجيهات صديقه "يحيى" فضلاً على أنه عنده روح المغامرة والتحدي، والفضول لاستكشاف شيء جديد في الألفية الثالثة حتى ولو كان هذا مجرد كابوس في حلم من وجهة نظره..

تلمس يده شيئاً ما في بذلته الطائرة دون قصد منه فجأة يختل نظام التشغيل فيحدث خللاً ما يعطل الأنظمة فيختل

توازنه فيسقط فوق المباني المصنوعة من الألياف الكهرومغناطيسية يقترب منه صديقه بسرعة البرق، يُمسك بيده حتى لا يصاب بأذى، أو مكروه، وهو يعنفه، وفي نفس الوقت يُحاول أن يصلح له النظام حتى لا يصاب بأذى أو سوء، وبعد محاولات دؤوبة منه لم يتمكن من ذلك، ولم يستطع أن يمنع سقوط صديقه، فاضطرا هو وصديقه أن يهبطا هبوطاً اضطرارياً على إحدى السحب الكثيفة التي وجدها أمامه، حتى يفعل شيئاً آخر، فكر فيه حتى يستطيعا أن يخرجا من هذا المأزق الشديد.....

الجزء الثامن

أخرج جهازه الخلوي ليتصل "بالجي بي اس" الخاص به ليحدد موقعه بالضبط وحتى يتمكن من الاتصال بالبيت، أو الشركة التي يعمل بها ليتمكن من إرسال رسالة مباشرة لمركز الطوارئ التابع لقسم التشغيل الخاص بعمله ليخبرهم بما حدث له ويطلعهم على الموقف، ولكي يطلب منهم المساعدة العاجلة ليرسلوا له أحد الفنيين العاملين بالشركة حتى يصلح العَطَبْ الذي أصاب نظام التشغيل بسترة الطيران الخاصة بصديقه، وإصلاح الخلل الذي حدث في البرنامج، وحتى لا يتخذوا معه أي إجراءٍ بخصوص تأخره عن عمله لكن الأجواء لم تسمح له بذلك...

حاول مرات عدة وفي كل مرة يحاول فيها الاتصال يفشل فشلاً ذريعاً بسبب الشحنات السالبة القوية المنبعثة من الفضاء الخارجي، وسوء الطقس .....

وأخيراً عادت الشبكة وقويت الإشارة فأخذ يقيس المسافة عبر الأقمار الصناعية، وحالفه الحظ حيث مرتْ على مقربة منهما حزم ضوئية شاردة في فضاء الكون البعيد فقام على الفور باستقبال وإرسال إشارة لاسلكية ليستغيث بالبدلات الطائرة التابعة لوزارة الاتصالات الكونية حتى يتثنى لهم إرسال مساعدة عاجلة ليتخلص من المأزق الذي وقع فيه هو وصديقه، وطلب منهم النجدة السريعة، فتلقت على الفور غرفة البحث والمتابعة

الإشارة وقاموا على الفور بالرد عليه سريعاً وطلبت منه إرسال بياناته وتحديد موقعه بدقة ليتمكنوا من مساعدته، ثم أخبروه بأنهم في الطريق إليهما للمساعدة ..

انتصف النهار أو كاد وهو يحاول معالجة الأمر، وإصلاح ما أفسده صديقه من نظام التشغيل بالخطأ .. أخرج شيئاً من بذلته الفضائية بصعوبة بالغة حاول أن يصلحها فلم يستطع فتوقف وهو متبرماً من صديقه الذي شعر بالحرج الشديد لما حدث منه دون قصد فتأسف له، واعتذر عما حدث :

- أنا أسف جداً يا صديقي، لم أكن أقصد ذلك ..

نظر إليه نظرةً طويلة وقد أعاد الابتسامة لوجهه من جديد وكالعادة هز رأسه إيماءً له بأنه قد قبل اعتذاره .....

الوقت يمر هدراً، وقد علم من صديقه " يحيى " بأن الوقت في الألفية الثالثة له أهمية كبرى كما أخبره صديقه من قبل بأن كل شيء هنا بمواعيد ثابتة ومحددة، وانضباط صارم جداً..

شعر بالتعب يفت في قواه الجسدية، والجوع والعطش قد بلغ منه مبلغاً، التقط أنفاسه بصعوبة والجوع راح يعبث بأحشائه، بلع ريقه الناشف بلسانه، أخرج من جيبه جهازاً صغيراً أسوداً يشبه الإسورة أو كالساعة الرقمية قاس بها حرارة الجسم وما يحتاجه من معادن وفيتامينات ثم أخرج من الجيب الأخر بعض الكبسولات الملونة دسها في فمه ليسد بها جوعه وتَحُد من تعبه ثم أعطى صديقه مثل ذلك ..

ثوانٍ معدودة مرت مجموعة من الأطباق الطائرة الملونة المتجهة إلى الكوكب الأحمر "كوكب المريخ " الكائن فيه مقر عمله هناك، فهو يعمل بانتظام منذ بضع سنين ولم يسبق له بأن تأخر عن موعده هكذا، كل هذا الوقت إلا لظرف طارئ، انتظر أحد الأطباق الطائرة أرسل مجموعة من الإشارات إليه وهي عبارة عن حزم عشوائية من الضوء المتحول وذلك لمحاولة مساعدتهما فوجد ساعة القياس معطلة.....

"والده كان يعمل في مجال التكنولوجيا الرقمية في أحد المصانع العملاقة على كوكب المريخ حيث يقوم بتصنيع البذلات الطائرة ذات الطراز العالي من الجودة والتقنية الحديثة، ولما تخرج ابنه "يحيى" من الجامعة التحق بذات المصنع الذي يعمل فيه أبيه، فمؤهله العلمي شفع له واشتغل في نفس المصنع" ....

نظر في الخريطة التي ظهرت فجأة أمامه، مسح المكان معلوماتياً ليحدد أين هو بالضبط على الخارطة وما هي المسافة الفاصلة بينه وبين العمل وكم يبعد عن البيت وهو ينظر إلى شيء في يده وعلى وجهه ابتسامة عريضة لم يفهم صديقه مغزاها، وهو يعاود النظر في ساعة التشغيل البذلة الطائرة....

ارتدى نظارته "الفيمتو ثانية " والكاب الحراري، ضغط على شيء في سترته تحسباً لأي ظرف طارئ قد يحدث لهما، وإمعاناً في الحيطة والحذر أخرج علبةً صغيرة تشبه البخاخة رش منها لون العدم على جسده فاختفى تماماً في لحظة من أمام نظر

صديقه الذي ما زال واقفاً في حيرةٍ من أمره وهو غارق في خجله، وتفكيره.....

صوت يأتيهما على هيئة ذبذبات الكترونية كانت رسالة من أمه نظر إلى صديقه الذي ما زال غارقاً في تفكيره، فجأة ظهر "يحيى" مرة أخرى أمام صديقه، يضغط على أيقونة صغيرة في يده تظهر أمه أمامه في الهواء على شاشة صغيرة بيضاء شفافة لتطمئن عليه، وتخبره عن قلقها عليهما هي وأخته "مريم" وتسأله إن كان يحتاج إلى مساعدة هو وصديقه أم لا، فيطمئنها ويخبرها بأن الأمر بسيط ولا يحتاج إلى كل هذا القلق منها، وأنه اتصل بالنجدة وهم في طريقهم إليهما فتودعه وتنصرف، وصديقه ما زال في حالة شرود ذهني، يفكر في الأمر.....

"هل فكرت يوماً أو تمنيت، أو حتى خطر ببالك بأن تسافر عبر الزمن، إلى أي عام وإلى أي مكان ستذهب ..؟!! لتستمتع بتلك الرحلة الشيقة الماتعة، أو هل تمنيت أن تعود إلى الوراء لتشاهد أجدادك كيف كانوا، وكيف عاشوا..؟!

أو لتعرف كواليس الحرب العالمية الأولى والثانية مثلاً وتقف على بعض الحقائق التاريخية التي حدثت ومرت ثم شوهت وزوِّرت عبر التاريخ ..؟!! تخيل معي بأنك عدت إلى زمن من الأزمان كزمن الديناصورات مثلاً، أو ذهبت إلى المستقبل أو عدت إلى الماضي ألاف السنين، هل ستكون سعيداً حقاً، وتصور كمية المعرفة التي ستحصل عليها، أم تمنيت أن تعيش في عصر من العصور أو حقبة ما من الزمن، وماذا سيكون شعورك

وقتئذٍ..؟!.. تُرى هل الإنسان قادر على أن يفعل هذا، والعلم الحديث سيتمكن من هذا ولو حدث هذا، تُرى كيف يكون الأمر عندئذٍ، وهل من الممكن أن يحدث هذا، هل فعلاً سيحدث هذا في يوم من الأيام، بعض العلماء يستبعد هذا، ويعتبره ضرباً من الخيال والمستحيل والبعض الأخر يقول : "ولما لا " ويردد " لو استطعنا استعادة أصوات الماضي والصور المبعثرة في الفضاء البعيد لأمكننا فعل هذا في يوم من الأيام وذلك لقناعتهم بأن الجزيئات وذرات المواد أياً كانت فهي كالجبل، والشجرة، والصخور تتأثر بموجات الطاقة الصوتية فترة محدودة ثم تعود لوضعها الطبيعي السابق، لذا لا يمكن بقاء أثر للصوت، والسؤال هنا:

- هل المادة تحتفظ بالأصوات واحداً تلو الأخر دون أن تتأثر بالأصوات اللاحقة..؟! ..

وإذا كان الجواب نعم، فإننا نستطيع استعادة الأصوات القديمة ليس هذا فقط فقد تتمكن في يوم من الأيام من سماع صوت أمك أو أبيك الذين رحلوا، ويقتلك الحنين لهما، أو ربما عادوا أو عدت أنت لهما لتعيش في زمانهما مرة أخرى، وإذا حدث هذا يوماً ما سوف يُسهِّل المهمة على المحققين ليستمعوا حينذاك لأصوات المجرمين ويحلوا أصعب القضايا التي قيدت ضد مجهول؟! .. ولما لا.. وقد كان تسجيل الصوت الذي نستمع إليه اليوم ونستمتع به الأن كان شيئا مستحيلا ومن ضرب الخيال قبل عام 1898، حتى قام العالم الأمريكي

"أديسون" بمحاولات تسجيل الصوت ونجح وكان جهاز التسجيل "الفونوغراف" أول جهاز لتسجيل الصوت ثم تلاحقت طرق عديدة لتسجيل الصوت آخرها أشرطة DVD وغيرها عبر الكمبيوتر.

"اخترع الأمريكي توماس أديسون أول جهاز تسجيل صوتي عملي. وقد تمكن جهاز أديسون من تسجيل صوت على أسطوانة معدنية صغيرة ملفوفة داخل رقيقة من الصفيح، ثم أعاد ترديد الصوت مرة ثانية، وكانت الأسطوانة تدور على محور، وفوق الأسطوانة وضعت إبرة ملحقة بحاجز غشائي لقرص هزاز، وعند تكلم أي شخص في جهاز يوضع بين الشفتين تنتشر الموجات الصوتية وتجعل الغشاء والإبرة يهتزان، وكانت هذه الاهتزازات تمكن الإبرة من عمل نقرات رقيقة على الأسطوانة الدائرة، ولاستعادة الصوت، يتم وضع إبرة ملحقة بحاجز غشائي على الأسطوانة، وأثناء دوران الأسطوانة، تسبب النقرات على الرقيقة في اهتزاز الإبرة والحاجز الغشائي، وهذه الاهتزازات تُحدث أصواتًا تشابه تقريبًا الصوت الأصلي"....

يقترب منهما فجأة ما يشبه المكوك الفضائي يحلق فوق رؤوسهما، يتوقف في الهواء يخاطبون "يحيى" وقتاً، يتعرفون على المشكلة، يُفتح باباً من المركبة الفضائية وهم ينظرون إليه، تنزل منه فُقَّاعَةُ هواء كبيرة تشبه البالون الهوائي الكبير، يقترب منهما فيمسك "يحيى" بيد صديقه، وهو يضغط على شيء ما في تلك الفقاعة الهوائية، ولم تمر ثوانٍ معدودة حتى وجدا نفسيهما

بداخلها، ترتفع لتعود من حيث جاءت حيث المكوك الفضائي العملاق، يشكرهم "يحيي" وهو يساعد صديقه في خلع سترته الطائرة ليقوموا بصيانتها وتصليحها له ووضعها على جهاز التشغيل ووحدة القياس الداخلي، وهو يفعل مثل ذلك.....

يتلفت حوله، يستكشف المركبة الفضائية العجيبة التي ابتلعته في جوفها، يجد كائنات غريبة، لا تشبه الانسان، فأوجس منهم خيفة، نظر لصديقه "يحيى" ووجهه منهمك في الحديث مع واحد منهم بصوت خافت، الصوت يأتيه ضعيفاً فلم يفهم حديثهم، حب الفضول دفعه بأن يتجول في المركبة الفضائية، فكر أخيراً بأن يستكشف المكان الذي هو فيه، أخذ احتياطاته .

دُهش عندما وجد بعض الأجهزة تحدثه كما لو كانت تعي وتفهم وتعقل وهي ترشده إلى ما ينبغي فعله وتجيبه عما يريد تذكر كوكب الصين وما قرأ عنه وعن اختراعاته وأيضاً عن عالم الروبوتات وتطوره وقد قرأ عنه الشيء الكثير، سأل نفسه سؤالاً، وراح السؤال يدور في رأسه، ويكبر :

- من الذي اخترع كل هذه الأشياء الغريبة العجيبة .. ؟!!,

ووجد نفسه يردد قول الله تعالى " وعلم الانسان ما لم يعلم " ثم عاد إلى مكانه، ولم يرد أن يُطِل التجول ولا التفكير في الأمر كثيراً ولا الابتعاد عن صديقه " يحيى" الذي أقدم عليه بابتسامته المعهودة الجميلة الصافية، وهو يردد ما جاء على بال صديقه وهو قول الله تعالي، وكأنه يقرأ أفكاره وما يدور في نفسه

- "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون "

أخذ نفساً عميقاً، تنهد تنهيدة قوية وهو يقول لصاحبه بعدما جلس على كرسي مكتوب عليه السعادة، قائلاً له :

- صدق الله العظيم، فعلاً " ويخلق ما لا تعلمون "

هنيهة صمت لا تكاد تسمع فيها إلا أصوات الآلات والإشارات اللاسلكية الكهرومغناطيسية المنبعثة من الأجهزة التي تملأ المكان، ابتسم في نفسه وهو يتذكر ..

"تلك الإشارات والأصوات المنبعثة من الأجهزة اللاسلكية التي سمعها في الماضي وتحديداً في المشفى العام الذي حُجزَ فيه ذات مرة إثر حادثة وقعت له على الطريق، وأيضاً حين ذهب إلى قسم الشرطة ليتم المحضر لهذه الحادثة".....

قطع حبل تفكيره صوت صديقه وهو يقول له بنفس الابتسامة الهادئة الجميلة :

- جميل أن نتذكر الماضي، لكن الأجمل أن نعيش الحاضر يا صديقي ونستمتع به..؟
- وكيف عرفت أني ذهبت بعقلي إلى الماضي ..؟!!
- هذا أمر شرحه يطول، سأحدثك عنه فيما بعد ..

يقترب منه أحد العاملين في المركبة الفضائية، يرحب بهما من جديد، يدنو من الجهاز الذي يعمل عليه، يضغط على أيقوناته يفتح أحد الفولدرات يستف شيئاً، يتابعه في صمت وهو يحاول أن يفهم ماذا يفعل ولكنه لم يستطع....

اقترب " أدم" من رأس صديقه ليهمس له في أذنه وهو يشير إلى الكائن الواقف أمام الجهاز:

- هل هذا روبرت ..؟!!.

فأجابه بإماءةٍ من رأسه نافياً ذلك دون أن يلتفت إليه وهو مازال يتابعه باهتمام، فأعاد عليه السؤال من جديد بصيغة أخرى تختلف :

- هو إنسان معدل إذاً، ملعوب في جيناته "الكروموسومات" يعني..

وابتسم ابتسامة خفيفة، التفت إليه " يحيى "وهو يبتسم له ابتسامة عريضة، وقد دنى منه ليوشوشه في أذُنه :

- لا.

يندهش من إجابته، وحب الفضول يدفعه بأن يعرف منه أكثر عن حقيقة هذا الكائن الذي يشبه الإنسان وهو ليس إنساناً ولا روبوت على حد قول صديقه ليلقي عليه السؤال من جديد :

- ما هذا الكائن الغريب إذاً ..؟!! ومن هؤلاء الذين يشبهوننا ويتكلموا مثلنا بل ويتعاملوا مع كل هذه الأجهزة الدقيقة الحساسة المعقدة بكل هذه البراعة والإتقان فائقة النظير ..

تأتيه الإجابة هذه المرة من أحدهم ليشبع فضوله ويهدئ من روعه ويجيبه عن سؤاله الذي بدأ له محيراً كثيراً بعدما التفت إليه الواقف أمام الجهاز بنظرة وابتسامة عريضة غاضبة :

- نحن يا عزيزي " أدم " كائنات فضائية، ولسنا من بني البشر ..!!!

وقع عليه الكلام كالصاعقة، وشعر وكأن دلواً من الماء المثلج قد سكبه عليه وأحس كأن شيئاً غريباً راح يتسرب بداخله شعور غامض غريب لا يعرف معناه ولا مغزاه، وراح يردد في نفسه: .. " هل أنا مستيقظ ..؟! وهل فعلاً حقيقة ما أرى ..؟! .. يا ربي الأمر فوق الاحتمال، عقلي لا يكاد يصدق، أكاد أجن .. الألفية الثالثة، وكائنات فضائية وجهاً لوجه هكذا، وبيوت معلقة في الفضاء بالكواكب ومدن تطير في الهواء، هل أنا بكامل قواي العقلية، هل أنا بحلم .. لا يمكن أن يكون هذا الأمر حقيقة..!! أكيد أنا بحلم، أو في غير وعيي، مستحيل هذا الذي يحدث معي.. من يعطيني عقله.. من يصدق كل هذا الجنون والهوس نعم العلم قادر على صنع المستحيلات، وما يشبه المعجزات أيضاً .. لكن إلى هذه الدرجة، وإلى هذا الحد .. أشك في هذا ولكن الأمر يبدو منطقياً، على الأقل أنا الأن بالفعل في الألفية الثالثة، أري، وأسمع، وأشاهد أموراً غريبة، وأغرب من الخيال العلمي .. "

الجزء التاسع

أفاق " أدم" على صوت صديقه " يحيى" وهو يهزه من كتفه هزة خفيفة، بلطف، يلتفت إليه بوجهٍ يملأه الذهول وعيون تملأها الدهشة، ونظرات فيها العجب من هول ما يرى..

فجميع ما في المركبة الفضائية عبارة عن كائنات غريبة الشكل، أجسامهم مختلفة تماماً عن بني البشر، وأشكالهم، وتصرفاتهم، حتى لبسهم غريب، ولا يشبهوا حتى الحيوانات ولا حتى من الجن مع أنه لم يرى الجن في يوم من الأيام إلا أنه قرأ عنهم وعن عالمهم في كثير من الكتب القديمة والحديثة إلا أنه افترض أنهم كذلك ..

"كائنات غريبة الشكل يكاد تشبه بعضها بعضاً مثل سكان كوكب الصين، واليابانيين بالضبط، وكأنهم مزيج وخليط من البشر على أشكال الحيوانات، تستطيع أن تشبههم بذلك، ولا تري لهم أشكالاً وأمثالاً تشبههم إلا في أفلام الكرتون وكتب الخيال العلمي فهم يشبهون البشر وليسوا كالبشر ومع ذلك يتصرفون كالبشر، وكل واحد منهم يحمل في يده ما يشبه الصولجان وجهاز صغير يحيط بمعصمه، لغتهم غريبة عجيبة وغير مفهومة إطلاقاً فهم عندما يتكلمون لا يتكلمون بصوت ولا بفم إنما يتكلمون عن طريق التخاطر، ولهم قدرة غريبة على التخاطب عن بعد " ...

لكن صديقه "يحيى" يخاطبهم بلغتهم ويفهمهم ويفهمونه، ويكلمهم ويرد عليهم أيضاً .. ويعرفون ما يدور في رأسه من أفكار ويردون عليه ويجيبونه بكل طلاقة، كما حدث معه آنفاً حينما قرئوا أفكاره، أحياناً تظهر لغتهم على هيئة كلمات وصور في الهواء بحروف ملونة معلقة كبيرة وأحياناً يتكلمون بصوت مسموع ولديهم لغات متعددة يكلمون الآلات والمعدات التي معهم والعجيب والغريب في الأمر أن هذه الآلات والمعدات تفهم لغتهم بل وترد عليهم بلغتهم التي يعرفونها وأيضا الأشياء تفهم حديثهم وترد عليهم ..

ولاحظ أنهم يتحدثون خمس لغات، لغة صامته تظهر كلماتها ومدلولاتها في الهواء بألوان مختلفة وصور مختلفة، واللغة الثانية هي الحروف والكلمات التي نعرفها وهي بكل لسان وكل لغة عرفها البشر، ولغة التخاطر والتخاطب عن بعد، ولغة يخاطبون بها الطبيعة وهي لغة الطير، والأمواج، والريح، والبحر، والشجر، والنجوم والكواكب، والمجرات المنبعثة، والقوة الساكنة الكامنة في الكون، والمادة عموماً، ولغة يتحدثون بها هم مع أنفسهم لا يعرفها أحد غيرهم، ولا أحداً يعرف اسمها، ولا يستطيع أن يتكلم بها ....

اقترب أحدهم منه كلمه بلغته التي يعرفها، وكأنه يقرأ أفكاره قائلاً له:

- نحن عباد من خلق الله، وهناك كائنات كثيرة ومتعددة غيرنا في كون الله الفسيح ونحن بعض منهم ولا يعقل إطلاقاً يا أدم أن تكون الأرض هي وحدها المسكونة ببني

البشر والدواب، والجن، والطير وفقط، أو تكون الأرض هي وحدها دون سائر الكواكب فيها حياة دون غيرها.

ثم همس في أذنه:

- نحن أصدقائكم يا أدم ..!
- .....

ثم أردف يكمل حديثه بعدما ابتعد عنه بضع خطوات :

- نحن نستقبل كل يوم كثيراً من الأشخاص والكائنات يأتون إلينا من عوالم أُخر وأزمنةٍ مختلفة..؟!

نظر إلى صديقه الذي هز رأسه موافقاً لكلامه بنفس ذات الابتسامة الهادئة التي لم تفارق وجهه وكأنه يقرأ أفكاره مثلهم، ثم قال له صدقه : ...

- تلك حقيقة ثابتة ..

وهنا ينتهز الفرصة ويلقى عليهم سؤاله الذي لا يجد له اجابة مقنعة شافية لغليله :

- وكيف جئت أنا إلى هنا ..؟!!.. أتعرفون كيف جئت ..؟؟!!..

فأجابه نفس الشخص الكائن بجواره، وقد التفت إليه باهتمام بالغ، وقال له بصوت يشبه الهمس .

- أنت فيك طاقة هائلة، نعم أنت تحمل طاقة قوية خلَّاقة بداخلك يصعب السيطرة عليها، استطعت من خلالها أن تأتي إلى هنا، وتسبق الزمن ..!

يضحك " أدم " ضحكة هستيرية، ثم ينظر إلى صديقه "يحيى" وهو في حالة تعجب واستنكار ورفض لما يسمعه من هذا الكائن الغريب، وكأنه غير مصدق ما يقال له.

- أي طاقة هذه التي تتحدث عنها .. ؟!!..

يتسم " يحيى" في وجهه وهو يومئ له براسه، قائلاً له :

- لا تستعجب يا صديقي ولا تستغرب الأمر، فعلاً كما قال لك

قاطعه ولم يدعه يكمل كلامه في صوت منخفض مجهد متعب وقد وضع يديه على وجهه :

- أكيد أنا بحلم صح ..؟!!
- بالطبع لا يا عزيزي، أنت لست في حلم، بل حقيقة وأنت لا تريد أن تصدق.

ثم دنى منه وراح يهمس له في أُذنه من جديد، وهو يشير من النافذة الزجاجية المطلة على الفضاء الخارجي ليريه شيئاً ما في الخارج : ..

- انظر إلى تلك الأجسام المشعة المضيئة، ألا ترى أمامك الشعور بالسلم العام والإحساس بالسعادة والطمأنينة والأمن والأمان لدى الجميع أنت بالفعل يا عزيزي لديك طاقة جبارة ..
- .....

يضحك " أدم " بطريقة هيستيرية وهو يضرب كفاً بكف، فيضحك صديقه لضحكه، ويضحك معهما كل من في المركبة العجيبة التي تشبه المكوك الفضائي، وفجأة يسكت الجميع،

ويقطع الصمت المكان، وقد نظر الجميع إليه وإلى بعضهم البعض في لحظة من الرعب الداخلي، وهو يحملق فيهم الواحد تلو الأخر.....

"في داخل هذا المبنى الضخم العملاق الذي عُلِّق في الفضاء البعيد أجهزة حديثة متطورة ومعقدة جداً للغاية وغريبة الشكل والأطوار، يكلم بعضها بعضاً بأصوات غير مفهومة، والكل يعمل في صمت وهدوء، وهو واقف بجوار النافذة المطلة على الفضاء الخارجي يتأمل ويتابع باهتمام بالغ كل ما يدور حوله، فكل شيء يسبح في الفضاء، وخارج نطاق الأرض، فلا مجال هنا لقانون الجاذبية، ولا قانون للمادة هنا كل شيء مبني من الضوء، البيوت من نور ومعلقة في الفضاء، لكنه لاحظ شيئاً غريباً ألا وهو الطيور والحيوانات لم يرها إلا حينما أخذه صديقة إلى رحلة ونزهة قصيرة في هذا المكان الهاديء المليء بالخضرة والماء والزهور"....

يأتيه نفس الصوت من جهة اليمين من هذا الكائن الغريب ليجيبه ويشبع فضوله :

- الطيور والحيوانات عموماً يا صديقي ليست كبني البشر، ولا يمكن لها أن تفعل مثلنا ومثلهم كما تعلم، فهي تختلف عنا وهي مسخَّرة لنا لذا هي موجودة ولكن في مكانها على الأرض ولم تزل تؤدي دورها المنوط بها ...!!

دنى من أحدهم وهو لا يريد أن يصدق كلامه، وبنفس الصوت المتعب المجهد الذي حدَّث به صديقه يسأله :

- من أنت ..؟!! وما اسمك..؟!! وكيف عرفت اسمي ..؟!! وكيف عرفت ما كنتُ أفكر فيه ..؟!!.

يجيبه هذا الكائن الغريب بكل ثقة واتزان وهدوء نفسي وهو منهمك ومشغول بشيء ما في يده يعمل فيه دون توقف :

- أنا خلق من خلق الله، اسمي " قرقر " وأما كيف عرفت اسمك، وما تفكر فيه ..؟!! فهذا أمر بسيط جداً وهين، يكفي أن أقول لك علمنا هذا ونحن نعيش مع بني البشر ونحن في الألفية الثالثة وتحديداً في هذا الوقت أصبح العالم متطوراً ومتقدماً جداً لدرجة أنه نشأت لغات وعلوم كثيرة، وماتت أيضاً لغات وعلوم كثيرة، فأصبح لنا وللعالم بوسعنا أن نلتقي، ونتفق، ونتحاور فيما بيننا، وأصبح العالم في مقدوره أن يتعاون فيما بينه بل وأصبح التعاون بيننا وبين العالم فرض علينا، واتفقنا على لغة متحدة محددة وموحدة نتخاطب بها مع بعضنا البعض دون لغة أو كلام.
- أنا لم أعرف بعد، كيف عرفت اسمي .. وما كان يدور في رأسي من أفكار وخواطر ..؟!!.
- عرفت اسمك وما يدور في رأسك، من ضمن هذه العلوم التي تعلمناها من بني البشر في جامعاتنا ومدارسنا إنه علم التخاطر يا سيدي، علم التخاطر والتخاطب عن بعد وبه يتحدث الجميع حول العالم إنها لغة موحدة للعالم كله، وأصبح العالم يمتلك ما لم يمتلكه في الماضي البعيد ....

وهنا ضرب " أدم " كفاً بكفٍ وهو يستمع إليه ويحدثه باللغة العربية الفصحى بعدما جلس على كرسي السعادة والهدوء النفسي ليستعيد نشاطه الذهني والبدني في المركبة العائمة في الفضاء، ثم يقول " أدم " له :

- أنت لست إنساناً إذاً، ولا من بني البشر ..؟!..

أجابه وهو يبتسم في وجهه بعدما التفت إليه بطريقة عجيبة،

- نعم، وما الغرابة في هذا .

فقال له وهو ينظر من النافذة التي تطل على الفضاء الخارجي وهو ينظر إلى الكائنات التي تطير في الفضاء والأشياء التي تشبه الكور المضيئة والبالونات الطائرة ومربعات ومثلثات وأشكال غريبة الشكل مشعة ومضيئة تسبح في الفضاء ولها مسارات وطرق لا تخطئها، والإعلانات التي تظهر فجأة ثم تختفي في الهواء أمامه، أشياء تخطت الغلاف الجوي، أبراج معلقة في الفضاء وناطحات سحاب تدور في أفلاك ومدارات ومسارات معروفة لا تصطدم بعضها ببعض ..

- وكيف جئتم إلى هنا، وماذا صنعوا معكم، وماذا صنعتم أنتم ..؟!

وهنا فرغ من المهمة الموكلة إليه، فاقترب منه، جلس على كرسي خاص به ليريح ظهره وليأخذ قسطاً من الراحة ويستريح قليلاً من عمله الشاق، وراح يكمل له حديثه :

- أنت كما تعلم في الماضي كانت هناك محاولات حسيسة في الاتصال بنا عبر الرحلات التي أقامها بني البشر للتعرف على الفضاء الخارجي، بل وغزوه أيضاً، وقاموا

بإرسال رسائل كثيرة وعديدة بكل لغات العالم عبر بعثات فضائية لمحاولة مسح الفضاء الخارجي والتعرف على الكواكب الأخرى، وهل من الممكن اكتشاف مخلوقات أخرى غيرهم أم لا، وكنا نتابع هذا بخوف وترقب وحيطة وحذر لأننا نعرف بني البشر جيداً وما يقومون به من حروب مدمرة فيما بينهم ولأننا نعلم أن علمهم قاصر ومحدود حتى جاء الوقت وتأكد لنا ووصلنا إلى قناعة بأننا يمكننا الاتصال بهم، قرأنا كل رسائلهم، وأخيراً نزلنا نحن إليهم، واتصلنا بهم، وجلسنا، وتحاورنا، واتفقنا ووضعنا المواثيق والاتفاقيات والعهود فيما بيننا لنتعايش سوياً وأمددناهم ببعض العلوم والمعارف الخافية عليهم حتى صرنا أصدقاء ومتعاونين، ونعيش في سلام كما ترى...

- وهل هناك كائنات فضائية أخرى غيركم هنا ..؟
- بكل تأكيد يا صديقي، فالكون واسع جداً ومتسع للجميع وهناك مخلوقات كثيرة أخرى غيرنا وأنت تعرف طبعاً بأن قدرة الله بلا نهاية، فلا تستعجب ولا تستغرب من هذا ..

يستأذن " يحيى " ليدخل في الحوار الشيق ليقول لصديقه:

- لقد توصلنا إلى المريخ يا عزيزي واستطعنا بأن نسكنه وأن نعمره وليس المريخ فحسب وحده وإنما القمر، والزهرة، وعدة كواكب أخري، وسأصحبك إليها، إن شاء الله، لو أردت في القريب العاجل .....

وهنا " أدم " وجد الفرصة سانحة بأن يسأل هذا الكائن الفضائي عدة أسئلة ليتعلم منه ويشبع فضوله، مثل.. كيف يأكلون ..؟!.. وكيف يشربون ..؟! فأجابه بأنه يكفي أن يعرف بأن حياتهم تختلف عنهم تماماً، مثل طعامهم، وشرابهم، ونومهم مختلف عن بني البشر، ثم سأله، أين يسكنوا تحديداً، فأجابه في كوكب " الحلزونة " الكائن في درب " التبانة " بجوار الثقب الأسود، ثم سأله هل ينامون مثل البشر ..؟!!.. وعن طبيعة الزمن عندهم وطبيعة المكان، فأخبره بأن لكل كوكب من الكواكب ولكل نجم زمانه الخاص، وطبيعته الخاصة، وخصائص يختص بها عن غيره، وبيئته التي تميزه عن غيره من الكواكب، وضرب له مثلاً بالقمر، والمريخ، وبعض الكواكب الأخرى وأعطاه معلومات قيمة ومفيدة، طُبعت في رأسه، ثم عاد مرة أخرى لعمله بعدما استأذن منه.....

ويفرغ من إصلاح البدلات الطائرة بعدما يكون قد ضبطهما على سرعة، ووقت معين في هذا الجو المتقلب، ويعطيهما لهما ليرتدياها، فيشكروهم، ثم ينطلقان في الفضاء ليكملا طريقهما، ويسْبَحان في الفضاء الواسع ....

الجزء العاشر

هناك على بعد عشرون مليار كيلومتر بسرعة الضوء في الثانية الواحدة تقريباً، حدث شيء غريب غير متوقع بالنسبة "لأدم" ولم يكن في الحسبان، وجد نفسه في عالم أخر يختلف تماماً عما راه وشاهده من قبل، فقد رأى مدن عائمة في الفضاء، تحيطها جبال صخرية رفعت في الهواء تم تحديدها بفواصل زمنية محكمة من انعدام الوزن والجاذبية، وتم تحصينها بسور من العدم المميت، ورأى كائنات غريبة لم يرها من قبل، كائنات عاقلة، وهم متقدمون على البشر في التقنيات التكنولوجية الحديثة، كائنات لا تتأثر بالطاقة السالبة، ولا الموجبة، ولا يتأثرون بالطاقات الموجهة أليهم، أحجامهم ضئيلة، وهناك كائنات تشبه البشر، والبيوت مصنوعة من الطاقة الخلاقة، والترددات المنبعثة من الفضاء الكوني، وظواهر غير طبيعية استقبل موجات وإشارات لا سلكية غامضة من الفضاء الخارجي، في كل مكان، يتكرر هذا بين كل فترة وأخرى من الزمن، والتنقل عن طريق الذبذبات والترددات، وكل شيء متطور جداً، كل شيء يفوق الخيال والوصف ...

إشارات كهرومغناطيسية تسبح في الفضاء، وتخترق كل شيء وأنظمة كهرومغناطيسية حديثة متطورة، والذبذبات تتوقف بفضل البذلات التي يرتدونها قبل أن تلمس أجسادهما.....

وأخيراً وصلا إلى المنزل بعد رحلة ذهاب شاقة ومضنية لكنها كانت لذيذة، وكانت الرحلة إلى كوكب المريخ عبر ممرات وطرق حلزونية ملتوية، وقاما بالتجول قليلاً من الوقت، حيث يعمل "يحيى" هناك ..

ولاحظ " أدم" بأن الجو هناك على كوكب المريخ مختلف تماماً فالسماء ليست زرقاء كما هي على الأرض، وإنما لونها أحمر يميل إلى اللون البرتقالي، أو الأحمر المختلط بالأصفر قليلاً، ولاحظ أيضاً بأنه مختلف تماماً عن كوكب الأرض، فلا الزمان كالزمان، ولا المكان كالمكان، فالدقيقة الواحدة عندهم هناك تمر بطيئة جداً وكأنها ساعة ولاحظ أيضاً بأن كل شيء في هذا النجم الفضائي العملاق الكبير له تقنيات حديثة متطورة خاصة بخلاف ما عندنا على الأرض، هناك لا يوجد تلوث بيئي، ولا مشاكل من أي نوع، أو مضايقات مرت به طول الرحلة، ووجد كل شيء يتكلم بأكثر من لغة وأكثر من لسان، والكل يتحرك لوحده وهو يسبح في الفضاء كطائر متمرس على الطيران .. وكل شيء أيضاً يُنير حوله.....

فإذا أراد أحدهم أن ينتقل من مكان إلى مكان فما عليه إلا أن يغمض عينيه ويفكر في المكان الذي يريد أن يذهب إليه، ويكفيه بأن يغمض عينيه ويفتحهما ليجد نفسه حيث أراد، فقد تعدوا وتخطوا ما بعد عالم المواصلات والكهرباء والانترنت " والفيمتو ثانية " بمراحل بعيدة جداً.

هناك كل شيء مختلف عن كوكب الأرض، الوقت مختلف، والزمان مختلف، حتى الأكل مختلف أيضاً، وكل شيء مختلف تماماً عما رآه من قبل.....

عالم فزيائي بامتياز، أو إن شئتَ قل عالم فنتازيا، أو عالم موازي، وكأنه عالمٌ في الخيال، أو أسطوري يختلف عن هذا العالم الذي قرأ عنه كثيراً أيضاً .....

يدخل "يحيى" ومعه صديقه من خوخة صغيرة تلك الفتحة المخصصة للدخول وهي عبارة عن دائرة حلزونية ملونة كهرومغناطيسية جاذبة.

دخلا السكن عن طريق كوة صغيرة من الجدار الزجاجي السميك المعالج جيداً تقنياً وعلمياً، ضد الضغط، والكسر، والاختراق، ليجدا، مريم، وأمها في انتظارهما وهما يتابعانهما من خلال شاشة العرض الهوائية ..

ألقى السلام عليهما، ودخلا غرفة تيغير الثياب الطائرة، وارتديا ثياب المنزل، وأم " يحيى" تجلس مع مريم في انتظارهما، ثم دار الحوار بينهم، بدأته أم "يحيى" :

- كيف حالكما يا أبنائي، لعل وعسى أن تكونا على ما يرام..؟
- الحمد لله على كل حال يا أمي، وذلك بفضل دعاءك لنا..
- وأنت يا أدم كيف كانت الرحلة معك اليوم ..؟!!

هكذا سألته مريم، وهي تبتسم في وجهه ابتسامة جميلة جذابة وهي تنظر إليه نظرة تأمل وإعجاب، وراحت تعبث

بأناملها البيضاء الطويلة الرقيقة ببعض خصلات من شعرها الناعم الطويل، انتبه "أدم " لسؤالها وبسمتها الجميلة فنظر إليها وهو يبتسم ولا يستطيع إلا أن يبادلها نفس النظرة ونفس الابتسامة وهو يقول لها :

- الحمد لله على ما يرام، كانت رحلة جميلة وموفقة بفضل الله تعالى، ودعائكما لنا، وأيضاً بفضل هذا العبقري الصغير، صديقي الوحيد في الألفية الثالثة ..!!

فضحك الجميع، ثم قالت له مريم والابتسامة الساحرة لم تفارق شفتيها الكرزية الجميلة :

- وأنا يا أدم أولستُ من أصدقاءك أيضاً في هذا العالم،.
- بالطبع، ويسعدني ذلك ويشرفني سيدتي، وأسف إن خانني التعبير فأنا لا أعرف أحداً هنا إلا أنتم، أخي وصديقي يحيى هو الذي استقبلني منذ وصلت إلى عالمكم الغريب العجيب، وأضافني في منزلكم العامر الجميل .. وأنتِ يا أخت " مريم " وأيضاً أمنا الطيبة الحنونة ..

وقال له " يحيى " بدعابة :

- نحن في الألفية الثالثة، صدق أو لا تصدق تلك هي مشكلتك أنت لكنها هي الحقيقة التي لا مفر منها ..!!

وهنا قاطعت الأم كلامه، لتقول: وهي تبتسم في وجهه :

- نسيت أن أذكر لك اسمي.

اسمي " أمل " وأسفه لأني كنت أظنك تعرف اسمي أو أن أحد ابنائي عرفك باسمي.

يرد يحيى ليتأسف هو الأخر لأنه نسى أن يذكر له اسم والدته والتي تبدو صغيرة في السن لما تمتلكه من نضارة وشباب وحيوية:

- فعلاً أنا أسف جداً يا أمي على أني لم أذكر له اسمك الجميل.

يضحك الجميع مرة أخرى، وطال الحديث بينهم بعض الشيء وتطرق لأمور عدة، وكانت "مريم" تختلس النظرات إليه من حين لأخر وهو يبادلها نفس النظرات كلما سنحت له الفرصة ويرد لها الابتسامة بمثلها، وقد شعر بأن قوة خفية جاذبة تشده نحو مريم، تلك الفتاة الجميلة، وشعر بأن قلبه بدأ يتحرك تجاهها، وراح يسرح في خياله، ويسبح في تخيلاته، ثم عاد يحدث نفسه ويسألها سراً.

- "ما هذا، ولماذا أنا مشدود إليها هكذا دون إرادة مني..؟!! أيكون هذا هو الحب..؟!!.. لا لا.. أم هي تفعل هذا الأمر لأبقى معهم .. أيعقل هذا.. ربما .. لالا ؟!! .. ولما لا.. وكل شيء هنا غير معقول، ولا منطقي حتى .. !! ولما لا أحبها، وهي فتاة جميلة وصغيرة وذكية ولمَّاحة.. لكن هل فكرت يوماً فيما هو مصيرك لو أحببتها، أو حتى أردت الارتباط بها..؟!!"

وظل يحدث نفسه هكذا وهو ينظر إليها وهي تنظر إليه والابتسامة الجميلة لم تغِب عن وجهها الجميل، وهنا استأذن "يحيى" وأمه وكأنهما علما كل ما كان يدور في رأسه ويمر بباله، فقررا بأن يتركوهما مع بعضهما لبعض الوقت، وما أن انصرفا حتى اقتربت منه مريم لتقول له:

- انت فيك طاقة هائلة
- بل أنتِ التي بك طاقة جاذبة، بل مدمرة،

تضحك الفتاة وهي تضع يدها على فمها حتى لا يخرج صوتها فيسمعه أحد غيره، ثم قالت له :

- أتخاف أن تبقى معنا
- وما أدراكِ أني خائف من هذا ..؟!!
- ألم تحدث نفسك آنفاً بذلك..!!
- وكيف عرفتِ ذلك ..؟؟!!!!!
- يجب عليك أن تعلم بأن في الألفية الثالثة التي أنت فيها الأن لا تستغرب من أي شيء ولا تستعجب من شيء، ولا تندهش.

قالتها له، وهي تقوم من مقامها لتجلس بجواره، همست في أذنه وكأنها تعرف ما يفكر فيه لتكمل كلامها له بصوت منخفض:

- يمكن نكون لم نلتقي كثيراً، لكن أنا أعرفكَ من قبل أن تأتي إلينا، وكم حلمتُ بك وتمنيتُ بل دعوتُ الله أن أراكَ وألقاكَ، وها قد استجاب الله لدعائي.

نظر إليها في اندهاش واستغراب، وهو يحاول أن يستوعب ما يسمعه بأذنه منها مع برهة صمت قصيرة يحاول فيها أن يجمع كل قواه العقلية التي شعر بأنها تنهار شيئاً فشيئاً أمامها يسألها:

- كيف حدث ذلك ..؟!! ..
- الذي لا تعرفه أني معجبة بك وبكل كتاباتك الإبداعية، أنا قرأت لك كل أعمالك..

قالتها وهي ترمي بحجر في المياه الراكدة بداخله، وهي تطوِّح في حماس يديها في الهواء، نظر على شماله وهو يحاول أن يأخذ الحديث إلى منحنى ومجرى أخر، وفي نفس ذات اللحظة لا يستطيع أن يخبئ مشاعره التي ظهرت فجأة على تقسيمات وجهه جلية وواضحة، قال لها بنبرة ساخرة بعض الشيء..

- بما أنَّا نحن نعيش في الألفية الثالثة، ممكن أسألك سؤال مهم يدور في رأسي الأن ..؟
- اتفضل بكل ممنونية.
- هو حقيقي الـ أنا فيه ده..؟!.. ولا بيتهيئلي، ولا ده حلم..؟!!
- حقيقي طبعاً، وافترض أنك بتحلم، أوليس هذا حلماً جميلاً.!!
- أنا فعلاً لا أنكر بأني حلمت بأشياء كثيرة جداً ولكن أبداً ما كنت أتصور ولا أتخيل أبداً بأن الأحلام ستصبح حقيقة وتصير واقعاً بهذه الطريقة وبهذا الشكل....

أسندت " مريم " رأسها على وسادة بيضاء قطنية وسرحت بخيالها بعيداً مع " أدم " وتخيلته زوجاً لها، بينما هو يمسك بجهاز صغير في يده كان بجواره، قلبه بين يديه، يستكشفه ومن دون أن يقصد ضغط على شيء فيه، فظهرت أمامه كل خيالاتها التي دارت في رأسها في الهواء، ورأى نفسه معها ورأى كل شيء يمر من أمامه، كانت تفكر فيه " مريم " كشريط سينمائي، وهي غارقة في التفكير وفي الحلم، فشعر بالسعادة لذلك، ولكنه شعر أيضاً بالخجل.

وفجأة تذكرت "مريم" أخيها "يحيى" حينما أشار إليها عندما غادر المكان وهو ينصرف، فهمت من إشارته بأنه ينبغي عليه أن يأخذ قسطاً من الراحة ليستعيد نشاطه وبأنه لا يعود إليهم إلا بعد الظهيرة، وفي نفس ذات اللحظة كذلك تذكرت أمها وهي تقوم بعمل ما يلزم من شغل البيت، وبأن أمها لن تمانع إطلاقاً إذا علمت بأنها تريد الخروج مع "أدم " صديق العائلة الجديد في نزهة قصيرة ومصاحبته لشراء بعض مستلزمات البيت، كل ذلك وهو يرى ويسمع ويشاهد كل ما يدور أمامه في صمت و" مريم " لا تلاحظ ذلك ولا تعلم به وربما كانت تعلم ولكن تجاهلته، وربما كانت هي التي دبرت كل شيء .

عن هذا، وقتها علم " أدم " بأنه سيتحتم عليه ويجب الخروج معها، وستطلب منه ذلك وهنا ضغط على نفس الشيء في هذا الجهاز الغريب الذي كان يمسكه لتختفي الصور والأصوات، ويلتفت إلى الفتاة الجالسة أمامه وهي في حالة شرود

وسرحان فأراد أن يردها إلى وعيها، ويعيدها من تفكيرها، افتعل صوتاً، تنحنح، ثم أشار بيده أمام وجهها، فانتبهت الفتاة وعادت تنظر إليه لتقول له بشيء من الجدية :

- ما رأيك في أن تخرج معي الأن ..؟

فأجابها على الفور وهو يعدل من جلسته.

- طبعاً سنشتري بعض مستلزمات البيت أليس كذلك
- بالضبط هو كذلك
- وطبعاً أمك لن تمانع، وأخوك طبعاً لا يمانع لأنه نائم ولن يعود إلينا إلا بعد الظهيرة .. أليس كذلك
- وكيف عرفت ذلك..؟!
- .....

وهنا صمت " أدم " وأخذ يفكر ..

هل يخبرها بما حدث وبما رآه وسمعه، وبينما هو يفكر في الأمر، تنبهت "مريم" للجهاز الذي بجواره ففهمت الأمر، فخجلت من نفسها ومما حدث، واحمرَّ وجهها، ووضعتْ عينيها على الأرض، فابتسم "أدم" في نفسه، وهو سعيد بحبها الذي طرب له وسعد، قال لها :

- هيا بنا لنخرج سوياً، ولا تنسي نحن في عالم الغرائب والعجائب.

ثم أردف يقول وهو ينهض قائماً ..

- زمن ما يعلم بيه إلا ربنا سبحانه وتعالى
- .....

فتنهض هي الأخرى لتحضر له البذلة الطائرة ليرتديها بينما هي تدخل غرفة الملابس لترتدي هي أيضاً البدلة الطائرة لم يمضى وقتاً يسيراً حتى جاءت إليه ومعها الحافظة التي ستضع فيها ما ستحضره للمنزل وهي حافظة غريبة بعض الشيء وضعتها على ظهرها، ثم اقتربت منه لتقول له وهي تقوم بالتأكد من كل شيء بأنه تمام وبأن كل شيء يعمل على ما يرام وبكل كفاءة :

- حاذر أن تعبث في شيء في البذلة الطائرة
- لا تخافي فقد تعلمت الدرس من المرة الأولى التي حدثت معي في الصباح

قرأتْ عليه التعليمات ردد خلفها، ثم قال بصوت مسموع :

- ويل للعالم، قريباً سيرى العالم مفاجئات، وسينصدم العالم بأشياء غريبة لم يكن يتوقعها ستظهر في آخر الزمان أشياء لم تكن في الحسبان.

الجزء الحادي عشر

دلفا عبر بوابة زمنية فُتحت في جدار زجاجي مثبت بمكان ما فوجدا نفسهما يسبحا في أنبوب حلزوني انتهى بهما إلى فضاء واسع متسع وسديم سرمدي لا حدود له، تحسس نظام التشغيل للبذلة الطائرة كما تعلم من قبل، دخلا في بوابة غريبة إلى مكان ضخم جداً زجاجي يشبه الهرم الأكبر " خوفو" ولكنه أكبر منه عشرات مرات، وهنا عادت له ذاكرته الأرضية .. تذكر، الأثار المصرية، وتذكر أول مرة جاء فيها إلى القاهرة وذهب إلى الأهرامات ودخل هرم "خوفو" وكيف كان يوماً رائعاً لا ينسى وكيف انتابه شعور غريب يشبه شعوره في هذه اللحظات، واحساسه بالخوف والرهبة تملكه وتمكن منه لكنه كان سعيداً جداً وفي نفس ذات اللحظة كان خائفا جداً، ودار في باله أفكار كثيرة، وجاء في رأسه كل ما قرأه وعرفه عن القدماء المصريين وعن الفراعنة وعن التقدم العلمي الذي توصلوا إليه والحضارة التي عاشوا فيها من سبعة ألاف سنة والعلوم التي توصلوا إليها والتي حيرت العالم إلى الأن وعلى رأسها العلوم الفلكية، وسر التحنيط ..

وتذكر، ما قرأه عن لعنة الفراعنة، وما قامت به أميركا من إرسال بعثة استخباراتية سرية إلى مصر ومع البحث والتعاون مع علماء الجيولوجيا أكدوا بأن مصر فيها عالم أخر غريب موجود تحت سطح الأرض وهذا العالم كبير جداً ومكانه تحديداً تحت

مكتبة الإسكندرية ويمتد إلى مدينة وادي الملوك في طيبة التي هي الأقصر الأن، وأنهم وجدوا برديات تؤكد أن مقبرة طيبة التي تسمى "بمقبرة الأفاعي" وأنها " رأس الحكمة والخلود" ووجدوا فيها عدة قواعد تحت سطح الأرض وهي تحت مدينة الجيزة تحديداً وراحت البعثة تستكمل المشروع والبحث ليكتشفوا بأن هناك باباً كبيراً جداً وقوياً جداً وجدوه تحت الهرم الأكبر هرم خوفو وكانت الصدمة والمفاجئة الكبرى عندما أرادوا أن يفتحوا هذا الباب اكتشفوا بأن هذا الباب لا يُفتح إلا عن طريق كود صوتي ووجدوا حوالي ثلاثمائة الف دسك هناك وحاولوا تشغيلها ولكنهم فشلوا في بداية الأمر وفي الأخير اكتشفوا أن هذه الدسكات تحتوي على كل العالم الكوني وجميع الكائنات الكونية وذلك بعد ما قاموا بفك شفرة هذه الدسكات وقاموا بتشغيلها وأيضاً وجدوا فيها قصة صعود وانهيارات الحضرات على مر العصور وعبر القرون ثم قاموا بنقل كل هذه المعلومات إلى قاعدة "كرتت لند" الجوية الأمريكية واكتشفوا أيضاً أن هناك نفقاً بجانب هرم "زوسر" المجود بجنب سقارة وهو متصل بالعالم السفلي في جوف الأرض الداخلي، وأن هناك نفقين في مصر لم يُكتشفا إلى الأن يمتدان أحدهما من مصر إلى معبد" ادفو" في أسوان عند موقع" جبل التونة" والموقع الثاني موجود بجانب هرم "زوسر" في القاهرة وتحديداً بجانب منفذ سقارة داخل القبو السري الذي فيه الكهف والذي يجتمع فيه الرهبان من" كوكب زيته " الذي في برج الجوزاء أو من الكوكب

الجبار"أورين" او من الكوكب "الشعرى اليمني" وهذا من برج كنسيس الذي هو من "سوبر نبتون" الذي هو على بعد27 سنة ضوئية من الأرض هو أكبر قليلاً من نبتون، ويدور حول نجم قزم أحمر على بعد حوالي 150سنة ضوئية وينتمي إلى مجموعة الكواكب الخارجية والمعروف باحتوائها على بخار الماء على بعد 27 سنة ضوئية من الأرض وعندهم تكنولوجيا التحكم الثلجي العقلي لأغلب كائنات المجرة وهذا يحدث عن طريق شبكة أشطرن النجمية الكهرومغناطيسية وقد قاموا بتهريب عقول كثيرة جداً للكائنات الموجودة تحت سطح الأرض وحولتها إلى عقل جمعي وهناك عقل واحد يقوم بالسيطرة عليهم جميعاً ويسمى هذا النظام بالانشطار وهذا النظام يعتمد على أن الكون كله ما هو إلا ذبذبات وأن نظام الانشطار هذا يعمل بأكواد معينة وهذه الأكواد من أجل أن تعمل لابد لها من طاقات خاصة وهذه الطاقات الخاصة موجودة في الأهرامات واسمها طاقات نقطة الزيرو أو طاقة النقطة زيرو وسموا هذا الاكتشاف بسر الجيزة وله علاقة بثلاثة أماكن ".....

أغمض عينيه في محاولة لاستيعاب الموقف، ثم فتحهما ليجد نفسه في مكان غريب، وعجيب كباقي الأماكن التي رآها من قبل ذلك، وعلم منها فيما بعد بأن هذا المكان يسمى النجم الدائري المعتم، وفي الداخل هناك لاحظ أن كل شيء حوله يعمل آلياً، ووجد كل شيء في حركة دائبة لا تتوقف، كما وجد مدناً كاملة ومستعمرات مهولة عائمة في الفضاء الفسيح ومأهولة

بالسكان، ولاحظ أيضاً أن الحياة تسير بشكل عادي جداً، وكأنهم يعيشون على كوكب الأرض، وليس في مكان أخر وكأن الكوكب الأزرق الكرة الأرضية، بأرضه وسمائه وبحاره وشمسه وجباله والكوكب المعتم قد امتزجا في بعضهما وتحولا لكوكب واحد مشترك في هذه المدينة الفضائية العملاقة الضخمة .. وبدأت الأرض تظهر له كقطعة أرض واحدة متصلة الأبعاد ومتشابكة الحدود بعضها ببعض من خلال شاشة عملاقة، فتمتم في نفسه قائلاً في تعجب :

- سبحان الله، عالم عجيب وغريب حقاً يعيش في الفضاء، سبحان الله "علم الانسان ما لم يعلم" .....

ورأى مباني ضخمة وعملاقة شُيدت بطريقة عجيبة، اشي من زجاج، واشي من حديد فولاذي، واشي بمواد أخرى لا يعرفها، لكن ليست هناك مواد بناء معروفة، ووجد مجسمات ضخمة وعملاقة أيضاً لا يعرف كنها، ولا يعرف عنها شيء، ولا لماذا وجدت هاهنا، وبهذه الطريقة الغريبة العجيبة..

ثم يلتفت حوله ليكتشف شيئاً أخر غريباً، حِزم من الموجات الكهرومغناطيسية الملونة تسبح في الفضاء، وموجات أخرى غير مرئية راحت تمر بجواره، يشعر بها تمر من أمامه تظهر وتختفي، وفجأة يشعر بفيروس يقترب من بذلته الفضائية فيتعامل معها بذكاء، يهرب منه وبسرعة يقضي عليه، فقد اكتسب خبرة كبيرة في هذا الأمر مما حدث معه قبل ذلك...

ينتبه لصوت مريم وهي تخبره بأنهما الأن في النجم الصناعي كوكب كبير وهو ضمن كوكب الدب الأبيض" ويجب عليهما أن يقوما بجولة شرائية حتى يجلس في مكان ما ليتحدثا سوياً ..

أمسكت بيده، دخلا مجسم ضخم جداً يشبه "هايبر" عالق ماثل في الفضاء، تفتح نافذة، تضغط على أيقونة فتظهر الأشياء كانت تفكر فيها أمامه على الشاشة، تضغط باصبعها على الأشياء التي تريد شرائها، لتقوم بفتح نافذة هوائية أمامها على شاشة خاصة بها، فيظهر حسابها البنكي، تحول ثمن ما اشترته، ثم تطلب منه بأن ينصرفا فوراً..

يسألها وهو ينظر إليها في تعجب :

- وأين ما اشتريته، ألم نأخذه معنا ..؟!!

تبتسم من خلف الشاشة الزجاجية التي على الوجه وهي تجيبه ..

- المشتريات ستصل بنفسها إلى المنزل، كل شيء هنا آلياً،
- معذرة لقد نسيت هذا
- لا عليك، هيا الأن لنذهب إلى مكان هادئ لنجلس فيه معاً.

أجابها بنبرة مازحة ساخرة وهو يسبح معها في الفضاء، وقد مسك بيدها حتى يتفادى المركبات الطائرة التي تمر من أمامهما، والمباني المعلقة في الهواء ، وقد قال لها :

- مكان هادئ، وشجر أخضر بقى، ومية، وكده يعني!
- ولما لا ..؟! ..

- .....
- الفضاء يا عزيزي صارت قطعة واحدة متصلة بعضها ببعض والتنقل فيه أصبح سهلاً وميسراً وليس كما في الماضي لديكم، موجات غير مرئية تقترب منهما يتفاداها..

قامت على الفور بتحليلها وفك شفرتها فوجدتها موجات مسالمة، يقتربا من مكان هادئ، تظهر لهما نافذة مضيئة، تضع كلمة السر " الباسورد " فتفتح لهما بوابة زجاجية، يدخلا منها ليجدا نفسهما معها في مكان يشبه الأرض هذا المكان الذي يشبه المكان الذي اصطحبه إليه من قبل صديقه "يحيى" وفيه كل شيء يفكر فيه، أو يخطر بباله.....

سرح بخياله بعيداً، تذكر صديقه الوحيد في هذا العالم الجديد، وتذكر تلك الليلة المشؤمة التي حدثت له فيها كل هذا، وتذكر كيف ارتدى أخر قطار متجهاً إلى القاهرة، وكيف حشر نفسه وسط الكتل البشرية المعتركة الأجسام، المتدافعة بقوة وبعد معاناة ومشقة لم يجد مكاناً ليجلس فيه سوى هذا المكان خلف الباب حتى يتحاشى الكتل البشرية المتدافعة من شدة الزحام، وقف كالعادة خلف الباب في صمت وترقب، وتذكر المؤتمر، وتذكر حين شعر بالملل يتسرب إلى نفسه وكيف أخرج كتاباً لقتل الملل الذي راح يطوقه " مسرحية مسافر ليل " لصلاح عبد الصبور، لكنه أعاده إلى حقيبته السمراء مرة أخرى، وتراجع عن فكرته تلك وخصوصاً النور في العربة قد خفت، ولا

يشجع على ذلك، واكتفى بالاسترخاء على الكرسي، والانتظار يقتله، وقد علق عينيه في السقف، وسرح بعيداً بخياله، وهو يفكر في المؤتمر وفي هذا اللقاء المرتقب الهام المنتظر...

انتبه لصوت " مريم " وهي تهزه إليها هزة خفيفة حانية، وقد نظرت إليه نظرة اعجاب، وهي تبتسم له ابتسامة جميلة لتنبهه وتلفت انتباهه إلى نافذة فتحت أمامهما أظهرت الأشياء التي كان يفكر فيها أمامه كانت على هيئة طاقة من نور وكأنها متصلة بالأرض، قالت له وهي ضاحكة:

- أين ذهبت يا عزيزي ..
- .....

يلتزم الصمت وهو ينظر إلى نفسه من خلال هذه النافذة . تلك الطاقة المنيرة . لعله يقف على حقيقة الأمر ويعرف كيف وصل إلى هنا لكن سرعان ما تنطوي هذه النافذة وتختفي في الهواء ليعاود بنظره إلى الفتاة التي تجلس أمامه وهي تنظر إليه وفي عينيها علامات الحب والاعجاب به، ليقول لها :

- أين ذهبتْ ..؟!!.. ولماذا اختفتْ تلك النافذة ..؟!!..

تناوله كوباً به سائل يشبه عصير الرمان وهي تقول له:

- كما قلت لك العالم توحد يا عزيزي، وصار الاعتماد على الطاقة الحيوية أمراً مهماً جداً وحيوي في زماننا..

يرد عليها بشيءٍ من الانفعال :

- ما زلت أريد أن أعرف كيف جئت إلى هنا ..؟!..وهل كل ما أنا فيه هذا حقيقة أم خيال ..؟؟!!..

- انها الطاقة.

. أي طاقة هذه، أنا لا أفهم ما تقولين، أنا لا افهم شيئاً على الاطلاق ..؟!!

يكفي أن تعرف أنك في الألفية الثالثة بعد الميلاد إذا أردت أن تعرف، يعني إحضار أي شيء يكفي أن تفكر فيه وتستدعيه من العدم .. !!

- أي شيء .. أي شيء ..؟!!
- نعم، أي شيء .. أي شيء .. !!
- يعني هل يمكنني أن أرى من خلالها ما مر على الأرض في خلال قرن من الزمن الف عام مثلاً .
- .....

هزت رأسها بالموافقة وهي تقوم بتلقي رسالة الكرتونية على جهازها الخلوي المعلق في يدها، مفادها وصول الطلبات إلى منزلها بنجاح وقد استلمتها الوالدة، وهو جالس أمامها في حالة ذهول واندهاش، يفكر في كل ما رآه وما سمعه وما قالته له آنفاً، وهو يردد في نفسه..

. كل شيء وأي شيء أحتاجه أو أفكر فيه يظهر أمامي في ثواني معدودة، يظهر أمامي في الفضاء، كيف هذا..؟!!،أهل هذا يعقل..؟!! أستدعي الأشياء من العدم.. وأين تذهب تلك الأصوات التي نتكلم بها.. والصور التي نراها ونشاهدها، والأحداث التي مرت بنا وتمر، تُرى هل نستطيع فعلاً أن نراها ونستدعيها مرة أخرى، وهل تستطيع الأرض والصخور والجبال

والرمال أن تحتفظ بصوت الأمواج والكائنات.. ؟! .. وهل من الممكن أن تتمكن جدران منازلنا من حفظ أسرارنا واستدعائها مرة أخرى إن أردنا ذلك ..؟!! .. وهل سيتحقق المثل القائل إن للجدران آذانا ..؟! .. ولما لا.. والمادة لا تفنى ولا تُستحدث من العدم ..

الجزء الثاني عشر

في البيت العلق بإحدى الأبراج السكنية في العناقيد المدلاة التي تسبح في الفضاء البعيد القاطن ضمن مجموعة أبراج تسمى، بالنحلة الجبلية المعلقة في كوكب "نبتون" الكوكب البنفسجي وبينما كان "يحيى" ينتظرهما، وهو يعلل نفسه ببعض شؤون البيت المهمة، قد خرجت الأم، أمل، من المنزل للعمل ...

أقبلت الفتاة وجاءت مع "أدم" دلفا من الكوة الصغيرة الخاصة بالدخول، يستقبله صديقه مرحباً به بابتسامته المعتادة وهو يقول له:

- هلا بك يا صديقي، أيها الصديق المبدع ..
- .....

تُسلم "مريم" على أخيها، ثم تستأذنهما لتدخل غرفة الملابس حتى تخلع عنها، البذلة الطائرة، لترتدي ثياب البيت، وبعدها يدخل "أدم" ليفعل مثل ذلك، ثم يخرج ليجلس مع صديقه أمام الحاسوب الهوائي المتطور.....

أمسك جهاز الريمونت القابع بجواره وصديقه "يحيى" منشغل بأمر ما من الأمور التي كان يقوم بها ففتحت له الطاقة الجاذبة الجالبة، فقام بتوجيه الريمونت نحو النافذة الضوئية، وقام بتشغيلها، وتفاجأ بفتح النافذة أمامه على الأرض وراحت تتنقل بين الأزمنة التي مرت على الأرض، والتي راحت تمر أمام عينيه حتى وصل إلى عام " 2024 " وأخذ يتابع ويشاهد باهتمام

أهم الأحداث التي حدثت في هذا العام، وهو يحاول أن يبحث عن شيء يوصله لحقيقة ما هو فيه وكيف وصل إلى هذا المكان ..؟!!.. ومتى جاء في هذا الزمان ..؟!! .. وهل هذا حقيقة أم خيال أم هي مجرد أوهام تدور في رأسه أم كابوس مرعب أم هلاوس من أثر البنج اللعين الذي أخذه وقد افترض في ذهنه كل شيء....

افترض بأنه يحلم، وافترض بأنه كابوس مزعج، وافترض أيضاً ربما يكون هذا من تأثير قراءاته الكثيفة في الخيال العلمي وتأثره الشديد بما يشاهده من الأفلام التي تتحدث عن غزو الفضاء فهو واحد من أُولئك الذين هم مولعون بالعلم والمعرفة ومن الذين قرئوا كثيراً عن قوى الطبيعة الخارقة، وما فيها من العجائب والغرائب وهو وأحد من الذين يحبون القراءة في هذا الأمر وافترض بأنه في حالة تخدير كلي وكامل وأن ما يراه ويحدث له، وما يشاهده ما هو إلا من تأثير البنج اللعين، وافترض أيضاً أنه في حلم، وافترض أشياء أخرى كثيرة في ذهنه.....

لاحظ صديقه "يحيى" هذا الأمر فتوقف عن العمل الذي يعمله ليسأله عما يفعل فأخبره بأنه يحاول أن يعرف شيئاً من الممكن أن يفهم منه أو يفسر له حقيقة ما هو فيه ولكنه فشل في معرفة ذلك، فحاول مرة أخرى، وكرر المحاولة أكثر من مرة وفي كل مرة يحاول فيها يفشل أيضاً، فضحك من سذاجته، ثم قال له :

- أنت لا تستطيع العودة إلى عالمك إلا إذا أردنا نحن لك ذلك

- كيف هذا .. ؟!!.

فأجابه بجدية وهو يضع ما في يده من أشياء مكانها على الجدار الذي بجواره ليقول له :

- بكل بساطة نحن نتحكم في كل شيء هنا كما ترى.

قال له ذلك وهو يقترب منه ليأخذ من يده الريمونت وهو يهمس له في أذنه:

- يا عزيزي نحن قادرون على ذلك، ولدينا كل القوى...

يشدَّ فضوله لمعرفة ذلك منه، وقد عادت له قوته ونشاطه، من جديد ليسأله مرة أخرى مستفسراً ومستوضحاً منه أكثر.

- أنتم إذاً الذين جئتم بي إلى هنا ..؟!..

يجيبه وقد بهتت الابتسامة المعهودة، وبنسف الجدية التي على وجهه بعدما نظر في عينيه بحدة ليقول له:

- بالطبع لا ... أنت الذي جئت إلينا ..
- إذاً ما القصة..؟!!.. وكيف أتيت أنا إلى هنا، أريد أن أعرف منك كل شيء ..؟!!

أجابه وهو يقوم بتشغيل جهاز القياس الخاص به، ثم يرفع حرارة الغرفة، فالجو قد امتلأ بالبرودة، وقد مرت من النافذة المطلة على الفضاء مجموعة من الكائنات البيضاوية على هيئة سحابة مقوسة، تتبعها سرب من الأطباق الطائرة.

يدنو منه يمسك الجهاز الذي في يده يضغط على شيء فيه وفي ذات اللحظة يقول له:

- الأمر هين وبسيط جداً، أنت الذي أتيت إلينا

تظهر أمامهما كائنات غريبة وعجيبة يعيشون في باطن الأرض وقد اكتشف في جوف الأرض، أكثر من مئة قرية تحت الأرض يسكنها الرماديين، وقد اكتشف أن هناك حفرة تقع في القطب الجنوبي يتراوح عرض الحفرة 400 كم، لكن هناك أسباب حالت في إخفاء هذه الحفرة عن العالم، لذلك لم يشاهدها العالم في الخرائط، لكنها موجودة في خرائط قديمة ولا يسمح بإظهارها، إلا أن هناك بعضها مسرب، ولديها القدرة على أن تستدعي الأشياء من العدم بمجرد التفكر في ذلك تظهر أمامه.. وقد تخصصوا في خطف البشر لإجراء تجارب عليهم وأبحاث كثيرة .. فجأة يسأله بدهشة واستغراب .

- ما هذا الذي أراه أمامي ..؟!!

يرد عليه بهدوء وبنبرة حادة خفيضة بعض الشيء

- هؤلاء هم الرماديون، كائنات تفتقر إلى ميزات عدة، يتميز بها البشر عنهم، من أبرزها المشاعر الشخصية ولا يوجد لهم جهاز هضمي ولا جهاز تناسلي وإنما يتكاثرون عن طريق التناسخ.
- أين يعيش الرماديون .. ؟
- كما ترى في باطن الأرض، الرماديون هم أجسام رمادية رخوة لزجة صغيرة خالية من الشعر وبشرتهم رخوة ناعمة ورؤوسهم ضخمة وكبيرة وخالية من الشعر وعيونهم سوداء، وبتشريحهم اكتشف أنهم يضعون على أعينهم عدسات لاصقة تمكنهم من الرؤية الليلية وليس لهم فم ولا لسان ليتكلموا به، وليست معهم لغة

للتخاطب، لغتهم الوحيدة هي التخاطر بين الشعوب حتى يستطيعوا أن يكلموا بعضهم البعض، وعالمهم غريب جداً ..

- وهل مازالوا موجودين إلى الأن هناك ..؟!
- ما زالوا موجودين بينكم هناك إلى الأن ولديهم شبكة عنكبوتية "الإنترنت" متطورة جداً، وأحياناً اللاسلكية الخاصة بهم ..
- أريد أن أعرف منك أكثر عنهم ..؟!
- الرماديون أقسام .. قسم منهم موجود ويعيش هنا معنا في الفضاء بيننا.. وقسم منهم يعيشون في جوف الأرض، وبيوتهم مجوفة تحت الأرض، ولهم قواعدهم كذلك وأشهر القواعد التي عُرفت لديهم في نهاية القرن العشرين قاعدة " دولسي " كما ولهم قواعد كثيرة أيضاً ولهم بوابات كثيرة فوق سطح وظهر الأرض ومنها واحدة تحت الأهرامات تحديداً ...
- قرأت مرة، وسمعت بأنهم يخطفون الناس
- نعم هم يقومون بخطف الانسان ليجروا عليه تجارب كثيرة، ويقوموا باستنساخه أيضاً، وربما قد حولوه إلى غذاء لهم، كما يضعون جهازاً صغيراً جداً دائري يشبه الشريحة الإلكترونية يغرسوه في تجويف المخ عن طريق الأنف.
- جهاز ..؟!

قالها له بتعجب، فرد عليه قائلاً :...

- قطر هذا الجهاز لا يتعدى3سم حتى يتمكنوا بطريقة، أو بأخرى وذلك ليتحكموا في تفكير الانسان وتجهيزه بغرس أوامر باطنية في الجسد للقيام بتنفيذها، ولتنفيذ مهمات مختلفة ومحددة وأحياناً يستغلوا بعض المخطوفين حتى يتم تحويلهم إلى مصادر غذائية لهم ويستغلون بعض المخطوفين للتكاثر بينهم، والخطف يحدث تحت التنويم المغناطيسي ..
- أكيد هذا كله هلوسة ومرض، وصرع من نوع ما معين ..

في هذه المرة، قال له :

- أنت يا صديقي فيك طاقة هائلة من خلالها استطعت أن تأتي إلينا، وتسبق الزمن،

يجلس، يفكر هنية، ثم ينظر له، ويكمل :

- هذا هو كل ما في الأمر، إذا أردت أن تعرف
- طاقة ..؟!! .. أي طاقة هذه التي تتحدث عنها..؟!!

قالها له بسخرية، ثم صمت برهة يفكر، ثم قال له بعدها :

- أختك قالت لي ذلك، وقالها لي احدهم ونحن في المركبة الفضائية حين صيانة البذلة، وأنت تقول لي نفس الشيء، أنت فيك طاقة هائلة .. ما كل هذا ..؟!!

قالها بسخط وقد نفذ صبره، هز رأسه بالموافقة على كلامه، وقد اختفت من على وجهه الابتسامة الهادئة الجميلة ليحل محلها ملامح جادة وصارمة وفيها حدة وراح يكرر ما قاله له ويضيف :

- أريدك أن تفهم وتعي ما أقوله لك جيداً هذه المرة

يجلس أدم وقد وضع رأسه بين يديه، وهو غير مستوعب ما يسمعه بينما صديقه يقترب منه، يربت على كتفه وهو مشفق عليه محاولاً أن يوضح له الأمر أكثر :

- أنت بداخلك طاقة إيجابية من خلالها وصلت هنا، وجئت إلينا وجئت إلى عالمنا هذا.

يصمت برهة ريثما يلتقط أنفاسه، ثم يكمل له بصوت ضعيف هامس ..

- يجب أن تعرف هذا جيداً، أنت لديك القوة الخارقة القوة الخامسة في الطبيعة، حاول أن تستغل هذا وتنميه وتستثمره يرفع " أدم " رأسه، يحملق في وجه صاحبه في هذه المرة، فاغر فاه، وهو غير مصدق ما يسمعه، وينظر إلى صديقه نظرة بلهاء، محاولاً استيعاب ما قاله له وهو لا يدري حقيقة ما يسمعه وما حقيقة هذه الطاقة التي يتحدثون عنها، فالأمر يفوق قدرته على الاستيعاب والتصور والإدراك....

أراد أن يقول له شيئاً ولكن الكلام احتبس في فمه، يعود إلى مكانه، يجلس، يضع يديه من جديد على رأسه مرة أخرى، وهو في حالة انهيار عصبي حاد، عصر رأسه، وذهنه وهو يحاول أن يتذكر، ويسترجع كل ما حدث.....

تذكر المؤتمر الذي دُعي إليه، وتذكر بأنه كان ذاهباً إليه، وتذكر بحثه الذي سيقدمه في المؤتمر، وتذكر، أيضاً بأنه كان جالساً في القطار المتجه إلى المدينة التي يُعقد فيها المؤتمر وتذكر، ما يجب أن يقوم بفعله هناك.....

وأخذ يفكر كثيراً، فيما يحدث له من أمور تشبه عالم الخيال العلمي والغرائب والعجائب، فجأة، يهب قائماً، يصرخ في وجه صديقه يحيى بصوت عالٍ فيه حدة، جعل " مريم " تترك ما في يدها وتقبل إليهما مهرولة مسرعة لتستكشف الأمر وتستوضح، تسمعه يقول:

- أنا ليس مكاني هاهنا، أنا أريد أن أعود إلى مكاني، وعالمي وزماني الذي كنت فيه.

ترد عليه مريم بصوت عذب ملائكي لتهدئه :

- لا تقلق يا أخي ستعود إلى الأرض قريباً، وستحضر المؤتمر الذي أنت ذاهب إليه بإذن الله تعالى ..
- كيف، ومتى ..؟!! وما نهاية هذا الأمر ..؟!.. أريد أن أعرف منكما.

ثم يتجه نحو "يحيى" وهو يقول له بقوة وانفعال:

- أجبني ..؟!!

يقترب منه يربت على كتفه يهدئ من روعه ويُرجع إلى وجهه الابتسامة الهادئة من جديد، ومريم تقبل عليه تمسح على رأسه بيدها البض، ثم تلصق صدرها برأسه، بحنو، وهي تقول له بصوت حزين :

- تريد أن تفارقنا خلاص مليتنا خلاص زهقت منا يا أدم، نحن نريدك معنا هنا.

ينزع رأسه من صدرها وينظر إليها نظرة بلهاء فيرى الدموع وهي تتساقط من عينيها النجلاوين الجميلة، يمد يده إلى وجنتيها يمسح قطرات الندى المتساقطة فوق أوراق الورد

وشفتيها ترتعش وهو يريد أن ينطق، أن يقول لها شيئاً لكنه لم يستطع، يقترب صديقه " يحيى" منه وهو يقول له :

- قريبا إن شاء الله تعالى ستكون في المكان الذي تحبه، ولكن بعد أن نتأكد من سلامة الطرق المؤدية إلى الأرض..
- أنا لم أفهم شيئاً مما تقول، ليتك توضح الأمر أكثر ..
- أنت بالطبع لا تعلم ماذا حدث للأرض على مدار السنين الماضية.
- ماذا حدث للأرض
- حسناً سأوضح لك.. الأرض خربت، نعم خربت، ودُمرت، هناك أسلحة فتاكة، أسلحة قتالية حديثة متطورة قاتلة دمرت العالم، أقصد دمرت الكرة الأرضية كلها فلم تعد الحياة صالحة فيها بعد ذلك مما جعل بني البشر يهربون منها، والرماديين والارشيفين يظهرون فيها، وقد قاموا بالسيطرة عليها ....
- وما دخلي أنا بهذا، ومن هم الرماديون، والارشيفيون الذين تتحدث عنهم كثيراً، وما دخلي أنا أصلاً في هذه القصة.

وهنا تتدخل مريم بعدما تكون قد كفكفت دموعها التي تشبه ماء السماء وقطرات الندى وقد تمالكت نفسها لتقول له:

- الارشيفين والرماديين الذين نتحدث عنهم هؤلاء كائنات مثلنا لكنهم يسكنون جوف الأرض، وهم من جنس البشر يعيشون تحت الأرض هناك منذ الاف السنين

وسموا بهذا الاسم للدلالة على لون بشرتهم الرمادية، ولونهم هذا لا يدوم طويلاً حتى ينقلب عند شعورهم بالجوع إلى لون أخر يميل إلى اللون الأصفر الفاتح، وهم يقومون بخدمة من يخدمهم، وفيهم علماء في الذرة وعلماء في الهندسة الوراثية وعلماء في الفيزياء والكيماء وعلماء في الكم والكيف، وعلماء في الذرة وعلماء في الطاقات الموجهة، والكيمياء .....

- هذه خرفات أنا لا أصدق، أنا قرأت عن هذا الأمر، ولا يتعدى الأمر كونه خيال في خيال، ولا أصدقه اطلاقاً ..!

قالها بانفعال وعيونه شاخصة نحو الخارج.

يضحك " يحيى " بصوت جهوري على كلام أدم لأنه غير مصدق ما يقوله له، ثم يلتفت وهو يقول له :

- يا عزيزي كل ما في الأمر نحن نخاف عليك لأن حياتك أصبحت تهمنا كثيراً، وحياتك أصبحت مهددة الأن.
- أتخافون عليَّ ..؟!!.. منْ ماذا..؟!!!
- نخاف عليك أن يقوم الرماديون بخطفك أو قتلك مثلاً، أو يحولوك إلى إفرازات مناسبة لطعامهم.

قالها له وهو يلتفت نحو النافذة الهوائية التي فتحها له، شاشة هوائية كبيرة نشرها أمامه، وأخذ يريه ما حدث وما يحدث في الأرض من خراب ودمار، وراح يشرح له ماذا حدث للأرض على مر الحقب التاريخية ويبين له ما الذي حل بالعالم والكرة الأرضية على مر السنين، وعبر الأزمان، وماذا جرى لبني البشر، وكيف أصبح الكوكب الأزرق، كوكب الأرض، غير صالح للحياة

ولم يعد يصلح مكاناً للعيش فيه كما كان في الماضي، وكيف سيطر عليها الرماديون والارشيفيون بعد حروب طاحنة دامية مع بني البشر، وكيف حوَّلوا العالم إلى جحيم لا يطاق، وكيف استطاع الانسان المتطور الهرب إلى الفضاء البعيد والكواكب الأخرى، بعدما تمكن من تطوير نفسه وأدواته العلمية والفنية والاتصال بالكائنات الأخرى التي تعيش في الفضاء البعيد، وكيف قامت تلك الكائنات بمساعدة بني البشر في ذلك، وقاموا بإمدادهم وإعطائهم معلومات تقنية حديثة ومتطورة تمكنهم من السفر عبر الفضاء الخارجي والتنقل عبر الكواكب الأخرى وإمدادهم بأبحاث خاصة وعدد من الأسرار الخاصة والسفر عبر الفضاء، والسفر عبر الزمان، وكيف ... وكيف ... وكيف .....

وكان " أدم" يسمع ويرى ويشاهد كل هذا في ذهول وصمت مطبق دون أن يتكلم ...

يقترب "يحيى" منه يربت على كتفه بحنو من جديد في محاولة لتهدئته و" أدم" ينظر إليه وهو يشير بإصبعه إلى ما يشبه المغارات الأرضية المجوفة المنحوتة بطريقة هندسية ورائعة وكبيرة نوعاً ما في جوف الأرض، وكيف هي متناسقة وبها بعض الكائنات الغريبة، ومعهم مجموعة من البشر ومعدات حديثة ضخمة وأجهزة غريبة معقدة الشكل تشبه العُلب أو الصناديق الكبيرة الزجاجية الشفافة يدخلون فيها الانسان ليخرج منه نُسخ كثيرة طبق الأصل، ثم يقوموا بوضع كل نسخة على جهاز أخر لبرمجته، وتشكيل عقله من جديد.

يسأله :

- ما هذا الذي أراه ..؟!!, وما الذي يفعلونه ..؟!!
- هذه بيوتهم التي كانوا يسكنون فيها قديماً تحت الأرض، هناك في العالم الموازي في الأرض الرابعة والأن يستخدمونها في تجاربهم على بني البشر علانية، وقديماً كانوا لا يجرئون.

على ذلك وأيضاً لديهم القدرة بالتحكم في السائل المنوي واللعب بالجينات الوراثية والكروموسومات، وهذه معدات وأجهزة حديثة تدخل إلى المخ، وأنا أخشى عليك يا أخي أن يصيبك منهم مكروه أو سوء، ونخاف عليك أن تقع في أيديهم فلا يرحموك، صدقني لن يرحموك أبداً ..!

قالها له بحده، وبعصبية، ثم صمت قليلاً، وهو ينظر إلى أخته "مريم" التي اقتربت من النافذة الزجاجية المطلة على الحقب التاريخية البائدة، وقد بدى عليها التأثر والانفعال لما ترى، ولتكمل ما قاله أخوها وقد على صوتها قليلاً :

- كنا نظنهم قديماً أنهم صادقون في وعودهم لنا ولكنهم خانوا كل العهود والمواثيق التي وقعوا عليها معنا، إنهم خائنون، ولا عهد لهم ولا ذمة.

قالت هذا، ثم تركتهم وانصرفت إلى غرفتها الخاصة لتقف قريباً منهما وتشاركهم الحوار سماعاً وهي تنظر لأدم لتقول له من جديد :

- صبراً فإن كوكب الأرض أصبح غير آمن الأن، وأصبح كل شيء إفرازات مناسبة لطعام الرماديين ..

يضحك " أدم " من كلامهما الذي بدى له غير منطقي، وغير معقول، نهض، دار حول نفسه، وهو يضرب كفاً بكف، وهو في حالة شرود ذهني، ينظر له نظرة غريبة هستيرية كلها ذعر وخوف وهما ينظران إليه وقد أشفقا عليه من الجنون، برهة صمت سادت المكان، حوَّل فيها أدم بصره خارج المنزل عبر النافذة المطلة على الفضاء المتسع الذي أمامه، وصديقه متأثر بما يرى من حالته التي ساءت، يقترب منه بعدما يكون قد أغلق النافذة، والفضاء قد تحول إلى مستعمرات مليئة بالكائنات الفضائية الغريبة وهي تسبح في الهواء، وكأنه يرى ما يشبه بعالم الخيال، أو كأنه في مشهد مسرحي من مشاهد الكوميديا السوداء، وهو ينظر لهما في عته، وبلاهة، تخرج " مريم " مرة أخرى من غرفتها بعدما تكون قد فرغت من شيء ما كان في يدها تقوم بعمله، تقترب من " أدم " تأخذ بيده تجلسه على كرسي السعادة، وهي تحكي له قصة الرماديين وتقص عليه بعض ما تعرفه عنهم وهو ينظر إليهم من خلال تلك النافذة المفتوحة عليهم وهو يتأمل أجسامهم الصغيرة، وأحجامهم الضئيلة وأجسادهم العارية الرمادية الرخوة، تهمس في أذنه :

- الرماديون نوع من جنس البشر موجود من الاف السنين، منهم كائنات فضائية ومنهم من يعيش تحت الأرض.

ويقال أنهم ظهروا مع هتلر في الحرب العالمية الثانية، بل هم من ساعدوا هتلر في حربه على العالم في الحرب العالمية الثانية من خلال التقنيات الحديثة التي أمدوه بها في حربه، من خلال اتفاقيات سريّة للغاية بين هتلر والرماديين، ثم بعد ذلك

ظهروا بعد سقوط هتلر عن طريق الولايات المتحدة، وكان حليفهم الجديد حينذاك، وكان أول ظهور للرماديين أثناء أو بعد الحرب العالمية الثانية ثم تطور الأمر مع الرئيس" ازنهاور" الذي قام باتفاق سري بينه وبينهم بتاريخ 21 / 2 / 1954.

- مع هذه المخلوقات الفضائية
- نعم، وكان من بين الاتفاق قيادة الفضاء والأشراف على العمليات العسكرية الواسعة خارج الفضاء خارج نطاق الغلاف الجوي للأرض ..
- وكيف اتصل وتوصل إليهم " ازنهاور".
- بعد الحرب العالمية الثانية، قامت أميركا في القديم بعمل مشروع ضخم عملاق وسمته "المشروع الكبير" وهو مشروع استخباراتي من الدرجة الأولى ومن الطراز الأول وهذا المشروع ينقسم إلى قسمين : الأول أطلقت عليه اسم الأحمر والثاني اسم الأزرق، وكان ذلك المشروع يهدف إلى تعقب العلوم النازية الغريبة جداً مثل علم الأثار والطبيعة والاقتصاد، وأما المشروع الثاني الأحمر ويهدف إلى معرفة اكتشاف كل المدن الموجودة تحت سطح الأرض وسموه بالأرض المحروقة وأول ما بدئوا في تنفيذ هذا المشروع كان عام 1949 وبدئوا به فعلياً سنة 1945 وكان أول ما بدئوا به كان في القارة الجنوبية القطبية وتفاجئوا بأن هناك مدينة تحت سطح القارة وتسمى " رامبو " فقاموا بالسيطرة عليها تماماً وهذه المدينة كانت ضخمة جداً ومساحتها كبيرة حوالي

ستمائة كيلومتر مربع ((600 كم)) وأما شكلها فكان يشبه سفينة فضاء ضخمة كبيرة أو تشبه طبقاً طائراً عملاقاً، والغريب أنهم وجدوا عليه أجهزة ومعدات متقدمة معقدة جداً ووجدوا أيضاً عليها وسائل اتصالات حديثة ووجدوا في هذه المدينة خرائط كونية وخرائط أرضية كما وجدوا فيها سكاناً كثر أقوياء يعيشون في جوف الأرض كما واكتشفوا ثلاثة قواعد " لهتلر" واكتشفوا كل أسرارها وذلك في عهد "ازنهور" الرئيس الأمريكي الأسبق الذي أعطى أوامره باكتشاف المدن التي هي تحت سطح الأرض، فاكتشفوا حوالى 129 مدينة تحت سطح الأرض منهم 35 مدينة تحت " لوس أنجلس" ومدينة " كاليفورنيا " واكتشفوا شبكة أنفاق عملاقة تحت سطح الأرض وهذه الأنفاق توصل العالم كله بعضه ببعض، وهذه الشبكة هي شبكة أنفاق واتصالات في نفس ذات الوقت.

- أيعقل هذا ..؟!!

يقولها باندهاش بينما يكمل " يحيى" حديثه ليقول له :

- والقدماء المصريين أول من اكتشفوا جوف الأرض .. فقد اكتشفوا مدينة " دوان" هذه المدينة التي هي في جوف الأرض وسموها مدينة " كماجوري" وكان الذي يحرسها هو " الإله أكر" والذي كان يحكمها هو "الإله حورس" على حسب معتقدهم آنذاك، والبعثة اكتشفت أن الكائنات الغريبة التي تعيش في جوف الأرض ترتدي

نفس الزي الذي يرتديها القدماء المصريين، والقدماء المصريين كانوا موحدين بالله، ثم مرت عليهم فترات ضلوا فيها وظهرت فيهم الماسونية، وعبدة الشيطان، مثل أخوات "حورس" وهناك فريق من العلماء مقتنعين تماماً بأن هناك تحت الهرم الأكبر أنفاق كبيرة توصل إلى عالم جوف الأرض وأن القدماء المصريين كانوا على تواصل دائم معهم وهذا ما جعل المصريين مقتنعين بمقولة مصر العليا ومصر السفلى وكانوا يؤمنون "بأرض تتن" وتسمي بالأرض المغمورة لأن بها أنفاق توصل ما بين مصر العليا ومصر السفلى.. وقالوا العلماء قديماً بأن القدماء المصريين وصلوا إلى أرض يأجوج ومأجوج وفتحوها أيضاً وتحالفوا مع سكانها وتحالفوا مع سكان جوف الأرض من أجل أن يبنوا مصر العليا ومصر السفلى، ومن كثرة ما كان القدماء المصريين مقتنعين بسكان جوف الأرض كانوا يعتقدوا بأن نهر النيل ينبع من صخرة كبيرة وقادم من تحت جوف الأرض في مدينة "تِتِن" التي هي تحت الأرض المغمورة.

- وما الدليل على ذلك ..؟!!
- هناك مصادر كثيرة تؤكد بأن هناك تحت الهرم الأكبر أنفاق وسراديب وكهوف كثيرة جداً توصل إلى العالم السفلى، تحت جوف الأرض، مثل كتاب " سكان تحت الأرض للدكتور/ محمد عارف والذي ذكر في كتابه بأن الدكتور/ بلورنس، ذكر الف محاضرة من محاضراته

وذكر شيئاً غريباً قال أنه التقى برجل عمره 35 الف سنة وحدث بينهما تعارف وصداقة قوية مما جعله يطمئن له ويخبره بكل شيء يحدث تحت جوف الأرض في العالم الأخر الموازي في باطن الأرض مما أشعل فضوله وجعله يبحث ويقرأ ويفتش في الكتب عن كل كبيرة وصغيرة تخص ذلك الأمر وما يتعلق بالكرة الأرضية وأخيراً استنتج وأنشأ نظرية علمية معروفة مفادها أن الكرة الأرضية عليها خمسة فتحات فوق سطح الأرض فوق القشرة الأرضية أول فتحة في القطب الشمالي، والثانية في القطب الجنوبي، والثالثة موجودة في المحيط الأطلنطي في مثلث برمودة أو مثلث الشيطان والرابعة موجودة في المحيط الهادي في مثلث فورموزا التنين في تايوان والخامسة موجودة تحت الهرم الأكبر خوفو وقال: تكملة للنظرية بأن الاتصال بين الكائنات الموجودة في جوف الأرض يحدث عن طريق هذه الفتحات وقال: بأن أكبر فتحة وجدوها لها اتساع شاسع وكبير جداً فتحة القطب الجنوبي، أما المصدر الثاني هو كتاب "ميتافيزيقيا العرب" والذي أكد كاتبه بأن هرم خوفو هو عبار عن بوابة كبيرة يتوصل من خلالها إلى عالم جوف الأرض الداخلي وقال : مما يؤكد هذا الكلام : بأن هناك موجود تحت الهرم الأكبر ممرات وسراديب وكهوف لا أحد يعرف عنها شيئاً إلى الأن وهذا ما أثبته علماء الأثار حينما قالوا بأن هناك تحت الهرم الأكبر

خوفو سراديب وممرات كثيرة جداً لا أحد يعرف عنها شيءً إلى الأن ...

وهذه الأرض السفلية التي تحت مصر والتي تسمى" تِتِن " والذي سماها هو اوزوريس .. ومعنى كلمة بتاح في اللغة الفرعونية يعني الفاتح ومما يؤكد بأن أوزوريس هو الذي فتح الأرض المغمورة في جوف الأرض وكذلك هو من حكمها .

أيضاً وأما المصدر الثالث فهو كتاب " المدن المفقودة بعد الطوفان " وفي هذا الكتاب يؤكد كاتبه بأن هناك نفقاً مخفياً تحت الأهرامات في الجيزة وهذا النفق مهم جداً لأنه يوصل مباشرةً إلى أرض " التتن " ...

أما المصدر الرابع فهو كتاب " خفايا وأسرار الماسونية " وهذا الكتاب يقول: بأن هناك عدد كبير من المنظمة المنشقين عنها يقولون بأن في المحافل الكبرى يكون هناك أنفاق توصل إلى جوف الأرض والهدف منها أن البشر الموجودين في المنظمة يتقابلون مع رؤسائهم من الشياطين ولذلك تجد هناك أهرمات كثيرة في جميع أنحاء العالم لأن هذه الأهرامات ما هي إلا معبر وممر ومدخل إلى العالم السفلي .....

دعك من هذه الترهات والخرافات.

تبتسم " مريم " وهي تكمل له الحديث بعدما تقترب منه :

- أكيد سمعت عن البرنامج السري لوزارة الدفاع الأمريكية المنطقة "51" القاعدة الأمريكانية العسكرية المحظورة

وعن الأجسام الطائرة الغريبة المجهولة التي تحدثت عنها الصحف العالمية كل فترة وأخرى، وسمعت عن تلك الكائنات التي يوجد الكثير من الأدلة على وجودهم، فهناك الكثير من الفيديوهات والصور المنتشرة على اليوتيوب الغير مدبلجة التي تستطيع رؤيتها، ولقد برعوا في صناعاتهم وكان من أهم ما صنعوه ما يسمى بالصحن الطائر المتنقل أو الصحن الفضائي حيث يوجد صورة هتلر بجانب أحد الصحون الطائرة، ويتميز هذا الصحن بسرعة الإقلاع والتخفي، وهو من الصناعات التي حصلت عليها أمريكا قديماً لكنها أخفتها وسوف تستخدمها مستقبلاً لأمور أخرى بما يسمى بالغزو الفضائي ..

ولهم قواعد كثيرة منها ما هو فوق الأرض ومنها ما هو تحت الأرض ومنها ما هو في الفضاء، ثم حدث اختراق للوثائق السرية الأميركية، وظهرت للعالم الحقائق التي تحاول أمريكا عدم الاعتراف بها وتضليل الرأي العام.....

يضرب أدم وجهه بيده، في محاولة منه بائسة حتى يفوق مما هو فيه ويستوعب ما يسمعه ويراه، وهي تكمل في جدية وحماس حديثها :

- ثم عقد "ازنهاور" اجتماع ثاني معهم به ثلاثة اتفاقيات خارج كوكب الأرض وقيل تحت الأرض بعد هذا الاجتماع الأول وفي هذا الاجتماع أبرموا اتفاقية تم فيها

الانفاق على أمور عدة، وقاوموا على إثرها بإمدادهم بمعلومات جيولوجية عن باطن الأرض وطبقاتها وعن الكون الذي يعيشون فيه ويمدونهم بتقنيات تكنلوجية حديثة لديهم للغاية عالية جداً ومتطورة وحساسة، تقنيات عالية الجودة يستطيعون من خلالها أن يتحكموا في الطاقة، وفي الأرض السابعة، وفي البعد الرابع والخامس حتى البعد العاشر، وتم تجديدها بموجب الاتفاق كل عشر سنوات، والأن هم يصارعون الزمن ويسارعون في المجيء إلينا عبر بوابة الزمان ...

- أنا لا يعنيني هذا كله، فقط أريد أن أفوق من هذا الكابوس.

يقترب منه " يحيى" يربت على ظهره ويربت على كتفه، وهو في حالة يرثى لها وفي شبه انهيار عصبي، يهمس له :

- تقنياتها هذه عالية الجودة ومرتفعة جداً، لكننا استطعنا أن نتغلب عليهم طبعاً، نستخرج الرادارات العملاقة ونستخدمها في الحرب على الرماديين، وقد تسبب لهم هذا الضرر البالغ في خلل للمركبات الفضائية الخاصة بهم مما تسبب في إسقاط مركباتهم وتدميرها وأحياناً قتل بعضهم، لسكان جوف الأرض .
- عقلي يكاد يطير من رأسي، ما هذا الذي أنا فيه، أنا سأجن من هذا الهراء والخبل الذي تتحدث عنه ..

يبتسم يحيى وهو يبتعد عنه قليلاً ليتجه نحو النافذة المضاءة والمشتعلة أمامه بالأحداث، بينما تقوم مريم بمسح دموعها التي أخذت تسيل على وجنتيه مرة اخرى، وهي تقول له:

- لا تخف يا أدم نحن سنساعدك للعودة إلى عالمك بسلام وأمان، اطمئن ..؟!

يهز رأسه " يحيى" مصدقاً على كلامها ويكمل فيقول وهو ينظر إليها :

- أكيد طبعاً، وسنمده بكثير من الأفكار الخلَّاقة والعلوم الحديثة لينقلها لأهلنا على كوكب الأرض حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على هؤلاء الأشرار الأوغاد، ولو لوقت محدود.

ينظر إليهما وقد اتسعت عيناه دهشة وذهولاً، فارغاً فاه وهو لا يتكلم، منتظراً أن يفرغا من حديثهما، وكأنه يريد أن يستمع منهما كيف سيعيدانه مرة أخرى إلى عالمه الذي جاء منه.

فيكمل " يحيى" حديثه بعدما يجلس على المقعد الذي أمامه:

- نحن نستطيع تخزين كل هذه المعلومات في رأسك وأكثر منها أيضاً، ويمكن لنا محوها أيضاً في نفس اللحظة، لكن يجب عليك أن تنتبه جيداً، إذا تعاونت مع أعدائنا الرماديون، سنسلب منك كل هذ الأفكار في لحظة واحدة، وليس هذا فحسب وإنما سنأخذ منك ما تملكه من طاقة في واحد على المليون من " الفيمتو ثانية "...

وهنا تعترض مريم كلام أخيها وهي تقاطعه وترد بابتسامة جميلة، وبها من الذكاء ما بها ..

- لا أظن أنه سيفعلها إطلاقاً، فأدم أعقل من هذا، وها هو صار يعرف كل شيء عنهم تقريباً

يكمل " يحيى" كلامه وهو ينظر " لأدم " نظرة تأمل :

- هناك أشياء أخرى كثيرة يجهلها عنهم ..
- لا أريد أن أعرفها ..؟!!
- نحن يا صديقي نريد لكل الشعوب الخير، وأن تحيا الأرض بسلام، وأمان، وبأن تمارس حياتها بكل أريحية وكما تحب، وكما تريد وكما يحلو لها، من غير خوف، أو وجل.

وهنا يضع " أدم " رأسه بين يديه مرة أخرى، ويجهش في البكاء، ومريم واقفة فوق رأسه، وقد وضعت يدها فوق رأسه بجهاز صغير أخرجته من جيبها يشبه عقلة الأصبع أصفر اللون لتقوم بتهدئته، ولتخذين المعلومات الهامة وفي نفس ذات الوقت يزرع كافت البيانات والمعلومات المطلوبة في رأسه، فكل شيء هنا يعمل بالطاقة النظيفة، ويشغل آلياً بكل سهولة ويسر، وهو ينظر لهما نظرة يملئها العجب والاستفهام .

- ما هذا الذي تفعلونه ..؟!!

تجيبه بصوت جميل:

- هذا جهاز قادر على اكتشاف الأمراض وعلاجها.

بينما "يحيى" يقترب بضع خطوات ليقف أمامها، وقد وضع ابتسامته الجميلة على محياه، وبصوت هادئ قال له، وهو يوزع نظراته على كل شيء في المكان :

- سنساعدك الأن وسنعطيك المفتاح الذي من خلاله تستطيع أن تعود إلى عالمك مرة أخرى، وأيضاً من خلاله يمكنك أن تأتي إلينا مرة أخرى، لو أحببت ذلك طبعاً، وسنعرفك كيف تأتي مرة أخرى إلى عالمنا هذا وإذا أحببت وأردت أن تأتي ومعك أحد أخر أو أكثر فأهلاً بكم جميعاً في عالمنا الجديد الجميل يذهب "يحيى" إلى غرفته الخاصة، يدخل يغيب فيها بضع دقائق ثم يعود وبيده شيئ يقدمه لصديقه.
- تفضل

يقولها وهو يبتسم في وجهه، فيسأله :

- ما هذا
- هذا هو المفتاح الذي ستفتح به بوابة الزمن لتعود من حيث جئت، وهذه هي المعلومات التي تمت تخزينها في رأسك لو أحببت ذلك طبعاً ..

يمسك " أدم المفتاح بيده وينظر فيه، يقلبه بين يديه برهة ثم ينظر إلى الفتاة " مريم " التي بدأ عليها الحزن والألم لفراقه، وهو لا يدري ما الذي أصابه من فتور، وهي تهز رأسها إيماءً له منها بأن هذا هو الذي يريده، وفي عينيها كلاماً كثيراً، ربما كان تعاطفاً معه، أو حزناً على فراقه، وربما شيئاً أخر ودموعها تخرط على وجنتيها البيضاء كأوراق الورد وهي تتمنى في نفسها أن يبقى

معهم إلى الأبد ولا يفارقهم، فقد أحبته، وتعلَّقت به كثيراً، وهو ينظر إلى الخريطة الزمكانية، التي في يده، وهي عبارة عن رسومات هندسية الشكل صغيرة جداً ومرسومة بطريقة معينة بالغة الدقة، مرصعة بلغة معينة غريبة ومصحوبة بطلاسم غريبة كتبت بحروف غريبة مذهَّبة، فجأة يسمع صوت ذبذبات قادمة من بعيد، تصحبها إشارات ضوئية نافذة، ثوان معدودة تدخل امرأة جميلة تشبه نجوم السينما، تقف أمامهم، تسلم عليهم، فيتعرفوا عليها، إنها أمهم " أمل " تخبرهم أنها رأت وسمعت كل ما دار بينهم من حوار، وأبدت أسفها الشديد وحزنها على فراق " أدم " الذي اقتربت منه لتقول له بنبرات يملئها الحزن، والأسى يملأ صوتها :

- يحزننا رحيلك عنا يا أدم

ينظر إليها، يشكرها على ما قالته، وعلى شعورها النبيل، وعلى ما بدى عليها من حزن وأسى على فراقه، ثم يقول لها بنبرة مازحة :

- إن شاء الله لنا زيارة قادمة بمشيئة الله تعالي

تتركهم الأم وتدخل غرفتها، بينما يحيى ما زال واقفاً بجوار النافذة المطلة على الفضاء ومريم تغالب دموعها، وهو ممسك بمفتاح الزمكان، ينظر فيه وينتظر، ويتأمله ...

قالت مريم :

- ها أنت معك الطريقة التي تستطيع من خلالها المجيء بها إلينا مرة أخرى هنا إلى عالمنا الجميل الساحر في أي

وقت تشاء وفي أي وقت تريد، وتحب، وسوف نستقبلك ونرحب بك.

سألها بلهفة :

- كيف ذلك ..؟!!

أجابه يحيى وقد غابت الابتسامة عن وجهه حزناً على فراقه وهو يقترب منه ليعطيه الخريطة الموصلة إلى طريق العودة وإلى زمنه الذي أتي منه، وهو يشير بأُصبعه إلى أماكن الطاقة في جسمه، ويرسم له بأصبعه على يده شيئا، وهو يشرح له طريقة استخدامه للمفتاح، وهو يقول له :

- إذا أردت أن تعود من حيث أتيت فما عليك إلا أن تكون في وضع استرخاء تام، ثم تغمض عينيك جيداً، وتردد تلك الكلمات التي أمامك، وستنتقل إلى عالمك فوراً، وأيضا إذا أردت أن تأتي إلى هنا مرة أخرى فما عليك إلا أن تفعل نفس الشيء مرة أخرى، فبمجرد أن تغمض عينيك وتسترخي وتأخذ نفساً عميقاً، وتردد هذا الكلام، وتقوله بصوت مسموع ستدخل فوراً إلى عالمنا، وتجيء مرة أخرى إلينا هنا، وسوف نرحب بك في أي وقت يا صديقي العزيز .....

ثم طلب منه أن يغمض عينيه، وبعد ذلك يضع تلك الرموز، ويضع يده على أم رأسه، وتحديداً، فوق المخ، ثم يضع المفتاح أو تلك الرموز "الرشوم" ثم قال له :

- ولابد حتى أن تكون هذه هي الطريقة المثلى وتستطيع العودة من حيث أتيت، فإذ قابلتك أو اعترضتك حاجة

اتركها وسر لحالك ولا تحاول أن تحتك بها أو تحدث نفسك عنها، أو تضعها في ذهنك ...

انتبه فإذا به يهزه من كتفه أحد الركاب الذين كانوا جالسين لجواره خلف الباب، فينتبه فجأة ليجد نفسه في القطار وفي يده علامة تشبه الوشم مرسومة على هيئة المفتاح الذي أعطوه إياه، موشوم فوق ذراعه.

.*.*.*.*.*.*.*.*.*.

"هل فكرت يوماً فيما هو مصير العالم في المستقبل، وماذا سيحدث له، ولبني الانسان عبر الزمان، والكرة الأرضية، وهل هناك كائنات أخرى غيرنا تسكنها بالفعل ..؟!!..أم لا..؟!! وهل سيغزو الانسان الفضاء ويعيش فيه مثلاً، وهل فكرت يوماً فيما هو مصير ذلك السيل الهادر من، الأمواج، والأصوات، والصور، والأحدث التي تمر بنا، تُرى أين تذهب ..؟.. هل تختفي، وتتلاشى، أم تتحول، وتتشكل، وتتحور، أم لا ..؟!! وهل سنجدها مخزَّنة في مكان ما ....؟!! .. ويمكن أن نستدعيها في يوم من الأيام، ربما تكون بالفعل موجودة هناك .. وربما لا تكون .. ربما يحدث هذا .. وربما لا يحدث .. وربما نستدعيها في يوم من الأيام من الفضاء الخارجي، وربما لا .. كل هذه الأسئلة وغيرها تحتاج إلى إجابة، فلندع الزمن هو الذي يجيب عليها ..؟!! "